

(/) - ()

:

(// //)

. ليس عجيباً أن يتمسك القدماء والمحدثون بتعريف تيماء الواردة في الشعر والتاريخ، على أنها تيماء الحجاز فقط، ذلك أن هذه المدينة هي التي كانت في الصدارة دائماً؛ ويضعف الغموض الذي يحيط بهذه المسألة كون المصادر - سواء أكانت تاريخية، أم أدبية، أم توراتية - هي مصادر شفوية، وهي مصادر تأخر تدوينها، بل حتى نقلها الشفهي شعراً على أيدي الرواة المحترفين الأوائل كالمصور العنزي، وحماد الراوية، والمفضل الضبي، وخلف الأحمر، وعلى يد علماء الأنساب كهشام بن الكلبي - كان هو نفسه متأخراً أيضاً.

ليس هناك اتفاق حول النقوش التي ورد فيها اسم تيماء، وإن وجد الأثريون حلاً وسطاً في القناعة بالاتفاق على تيماء الحجاز. ويأتي دور الأسطورة ليعمق الهوة بين الشفهي والمنقوش؛ فهناك سموأل، وسموإيل، وسمويل، ونبونيدوس.

وكان هذا كافياً لوضع علامة استفهام كبرى حول كل ذلك، لولا الإصرار والتقليد، فمن حيث الموقع هناك: تيماءات، أو تيمانات، لا علاقة لها بتيماء المشهورة الراسخة في الذاكرة، ومن حيث الرواية الشفوية الخاصة بشهرة تيماء، في قصة امرئ القيس، ثبت أنها أخذت دور غيرها تحريفًا واختلاطاً، ومن حيث الآثار، فصاحبها نبونيدوس - (بل حتى

تغلات بلاسر) - نفسه، لا يقدم دليلاً على صلته بها. ومن الثابت أن التضحية البشرية المقترنة بتقديم القرابين البشرية للآلهة، ذات علاقة بالوثنية.

وفي ضوء هذا القلق وعدم اليقين، كان على البحث العلمي مراجعة كل المصادر البينة، وأدت المراجعة إلى قطع صلة امرئ القيس بتيماء الحجاز، ونفي وجود شخصية شاعرة فيها، وعلى النقيض من ذلك كان هناك شخصية تاريخية غير رفيعة بالعرب، أو متعاطفة معهم. والسموأل المشهور شخصية أسطورية، أو قبلية، تعود إلى قرون خلت. وكذلك، فإن نبونيدوس - إن وصل تيماء - فأقرب احتمال هي تيماء القصيم، أو تيماء (شوبك، المشهورة في التوراة)، أو أي تيماء مجاورة له.

والحق أنه لا التاريخ، ولا الآثار، ولا الأدب، يحمل يقينا، وأن اليقين هو إجماع غير موفق على مسمى متعارف عليه، كشفت الدراسة على تناقضاته وخلافاته، وبينت أن دور تيماء الحضاري لا يتجاوز كونها محطة عبور، ولو تجددت الحفريات الأثرية في تيماء نجران، أو تيماء القصيم، مثلا، لاستبان أمور كان من حقها الظهور والعلن؛ ناهيك عن المصادقية من وراء خبر التوراة، أو إشارة النقش، أو ادعاء الخبر.

ذهبت الدراسات المعاصرة إلى تقرير حقيقة وجود سموأل الشخصية شاعرا، في تيماء الحجاز. وكانت هناك محاولات بسيطة لافتراض كونها شخصية أسطورية. وتشبث المحتجون بوجوده باقتران اسمه بـ"تيماء" المعروفة. وكان أن طرح صاحب هذا البحث رأيا في حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، بعنوان "سموئيل: الأسطورة والمجهول"، ناقش فيه هذا الجانب من تلك الشخصية، ثم علاقتها بقصة امرئ القيس وإيداع دروعه عند ذلك سموأل المزعوم.

ولم تحتمل طبيعة الدراسة في الحوليات الخروج عن المساحة المعقولة المخصصة لمجالات النشر هناك. وتطلب استيفاء الموضوع حقه معاودة طرح الجوانب القلقة المتعلقة به، سيما أن الدائرة تتسع بحيث تشمل التاريخ والآثار هنا، بل الجغرافيا. وبدء انحصار النقاش في مدلول

السموأل: الحقيقة والتاريخ

"تيماء"، ليس في الحجاز، وإنما في القصيم، والدوادمي، ونجران، إلى جانب مواطن أخرى. وكان الربط لازماً بين هذا المدلول وما ورد ذا صلة بنبونيدوس، وعلاقة الاسم بما جاء في التوراة، أو العهد القديم.

وإذ تشابك الصلات، نجد اسم امرئ القيس خارج أي احتمال بعلاقته بتيماء الحجاز؛ فهناك وجود حقيقي لامرئ القيس ووصوله إلى حائل، ولم يتجاوزها إلى الجنوب الغربي، وما ذكّر السموأل، وإنما ذكره الأعشى على أنه أسطورة. وهكذا، لم يحقق علم الآثار أية نتيجة منطقية، وإنما بنى استنتاجاته على مقارنات لفظية، يستطيع أي أحد أن يجادل حولها، فيكثر الجدل.

وعلى ذلك النحو من الحجة والدليل، سترتكز هذه الدراسة، ابتداءً بـ"تيماء". وأول ما ينبغي علينا التعرف عليه هو تيماء الحجاز، فهي تقع في وسط الصحراء المترامية الأطراف، في منخفض تتساوى المرتفعات من حوله، فهي أرض منبسطة، تضل من دخل فيها ولا يعرفها، فهي أرض مهلكة، بعيدة عن الموارد والمناهل، ومنازل البادية، ومن وصل إليها، فلا يصل إلا بعد المشقة والعناء، وربما يمر بالقرب من تيماء، فلا يراها، لموقعها في المنخفض، وسط الصحراء المجهولة، ومن الصعب الوصول إليها عبر الصحارى المهلكة، فهي تبعد عن حائل حوالي ٢٣٠ كم، وتبعد عن دومة الجندل بأكثر من ذلك، وتبعد عن تبوك ٢٦٤ كم، وعن خيبر ٢٤٩ كم.^(١)

وتعود أهميتها إلى تربتها الزراعية الخصبة، ومائها الوفير، حيث بئر هَدَاج التي يضرب بها المثل في الكثرة والكرم والغزارة.^(٢)

(١) حمود بن ضاوي القشامي، الآثار في شمال الحجاز (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ١: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) القشامي، الآثار، ١: ١٠٧.

وتقع جنوب تيماء، أرض الجهراء (الجناب)، وهي أرض واسعة، لا ماء فيها ولا مأوى.^(٣) وإلى الشمال الشرقي من تيماء تقع النفود، وهي عبارة عن كثبان من الرمال المتحركة التي يصعب أن تسلك أي طريق منها.^(٤)

ويوضح لنا هذا التحديد أن الجهة المفترض قدوم امرئ القيس منها، جهة مهلكة مضلة، لا يجتازها العابرون والمسافرون، وإنما يأتيها القادمون من الجهة الغربية وجوانبها، شمالا وجنوبا. وفي هذا تأكيد على ما جاء في الدراسة من أن امرأ القيس لم يأت إلى تيماء هذه، كما لم يأتها الأعشى أيضا؛ فطريق الأعشى دوما من الشمال إلى الجنوب، ذهابا وإيابا، وهذا واضح من قوله:

أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ وَأَرْضُ النَّبِيْطِ وَأَرْضُ الْعَجَمِ^(٥)

وكانت الدراسة قد حققت الاسم في قول الأعشى: "شريح"، على أنه: شريح الكلب، لا ابن السمؤال المزعوم، وهذا ما سبق أن لاحظته جواد علي أيضا.^(٦) كما ذكرت الدراسة أن الأعشى أسر في بعض ديار كلب، أي: بادية الشام، وهو متجه إلى الجولان؛ ذلك أن ديار كلب تتجه صوب هذه المناطق، قال الأخنس بن شهاب التغلبي:

وَكَلْبٌ لَهَا حَبْتُ فَرْمَلَةٌ عَالِجٌ إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ

(٣) القثامي، الآثار، ١: ١٠٧.

(٤) القثامي، الآثار، ١: ١٠٧.

(٥) ديوان الأعشى، تحقيق محمد محمد حسين (القاهرة: المطبعة النموذجية، ١٩٥٠م)، ٤١.

(٦) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ط ٩ (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت.)، ٣: ٣٧٧.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

ومنازل كلب من هيت، وعالج: بين فيد والقريآت؛ وخبت: ماء لهم، وكذلك حتى البقاع، قرب حمص.^(٧)

وهناك تيماء أخرى تطل على وادي الشعراء،^(٨) مما يلي جبل ثهلان، وهي قرية صغيرة بالقرب من ماء الكلاب، ليس لها صفات الثانية، أي: تيماء القصيم، ولكن الجاسر لا يرى تيماء في قول امرئ القيس، إلا تيماء الأولى،^(٩) وفي هذا مغالطة للواقع التاريخي والجغرافي لتيماء الحجاز التي تصمد أمام السيول الجارفة، ولا تتهدم بتلك السهولة، كما وصفها امرؤ القيس، وإنما يصدق هذا على أية قرية في بلاد القصيم، حيث نشأ امرؤ القيس، لما كان أبوه ملكا على بني أسد في تلك المناطق، وقال معلقته التي ورد فيها ذكر تيماء (البعايث) هذه، قبل أن يقتل أبوه، ويصطدم ببني أسد، والتي بدأت بذكر أماكن في نجد: سقط اللوى، الدخول، حومل، توضح، المقرأة، دارة جلجل؛ وليس أدل على ذلك من وصف امرئ القيس نفسه لمواقع تدفق السيول، وهي مواقع كلها في منطقة القصيم، يقول:

وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جَذَعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمَأَ إِلَّا مَشِيدًا يَجْنُدَلِ
كَأَنَّ طَمِيئَةَ الْمُجَيْمِرِ غُدُوَّةً مِنْ السَّيْلِ وَالغُثَاءِ فَلُكَّةَ الْمُغْزَلِ
كَأَنَّ أَبَانَ فِي أَفْئَانِ وَدَقِّهِ كَبِيرٌ أَنْسٍ فِي يَجَادٍ مُزْمَلِ

(٧) أبو البركات ابن الأنباري، شرح ديوان المفضلين، تحقيق يعقوب كارلوس لايل (أكسفورد: مطبعة أكسفورد، ١٩٢٠م)، ٤١٥. وانظر: شهاب الدين أبا عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ١٣٩٠هـ/١٩٧٩م)، "خبت"، "عالج".

(٨) عبدالله بن محمد بن خميس، الحجاز ما بين اليمامة والحجاز (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ٩٣-١٠٩.

(٩) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة العربية، ط ٢ (الرياض: المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ٣٩٩.

ثم يقول:

عَلَى قَطْنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنَ صَوْبَهُ وَأَيْسَرَهُ عَلَيَّ السَّتَارِ فَيَنْذُبُ
وَأَلْقَى يُسَيَّانٍ مَعَ اللَّيْلِ بَرَكَهُ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعَصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ^(١٠)

المجمر: جبل أسود، صغير، في أعلى وادي الرمة. أبان: جبل عظيم، غرب وادي الرمة. صحراء الغبيط: واقعة جنوب وادي الرمة. قطن: قريب الفوارة، جبل أحمر، يقع شمال وادي الرمة، وغربي أبان. الستار: جبل في حمى ضرية، بين قرية ضرية وبين شعبي. يذبل: جبل يسمى اليوم "صبحا" في عالية نجد الجنوبية، بين الحصاة وعرض ابني شمام. بيسان: حزم أسود في ركبة، قريب من عشيرة.^(١١)

(١٠) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م)، ٢٥- ٢٦. إنه لا مجال أبدا لافتراض غير هذه الجهة؛ فامرؤ القيس يكرر الصورة في ضادته، ص ص ٧٢- ٧٣، وفي داليته، ص ص ٢٥٢- ٢٥٣. أما ص ٣٩٤، فالشعر منسوب إلى حاتم. ولعل أغرب ما في الأمر أن حمدا نفسه يتفق مع هذا، في مكان آخر، المنطقة الشرقية (الرياض: دار اليمامة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ٨٧٢: ٢.

(١١) محمد بن عبدالله بن بليهد، صحيح الأخبار، ط ٢ (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٢٢: ١ - ٢٤، ٣٢؛ ٢: ١٣٦، ١٥٢. صوب عبدالله بن محمد الشايح، نظرات في معاجم البلدان، ط ١ (الرياض: مرام للطباعة، ١٤١٥هـ)، ٣: ٢٢٢، رواية البيت: "وألقى ببيسان." غير أن الشايح - مغالطة منه - يرى السيل قادمًا من الغرب، ٢٥٧.

ومثل هذه المغالطة، نجدها في كتابه الآخر، مع امرئ القيس بين الدخول وحومل، ط ١ (الرياض: مرام للطباعة، ١٤١٨هـ)، ٣١- ٣٢، وفيه نقل مواطن امرئ القيس: الدخول، حومل، سقط اللوى، توضح، المقرأة، إلى شمال المملكة العربية السعودية، وهي توجيهات خاطئة، نسي فيها أنه أثبت "دارة جلجل"، مثلا، ص ٢٣٥، في حمى ضرية. إن المعادلة التي تسقط زعم الشايح بسيطة جدا، فإذا كان ٩٠٪ من الأطلال في عالية نجد والقصيم، فإن الباقي يجب أن يكون هنالك لا محالة، إن الشايح في مزاعمه هذه، غير علمي، ويفتقر إلى الحس النقدي.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

فالسيل جاء من شمال القصيم، ولو جاء من تيماء الحجاز، لانتهى في رمال النفود، قبل أن يجتازها إلى حائل، ويواصل مجراه.

وتيماء هذه هي التي جاءت في قول قبيصة بن جابر، الشاعر المخضرم:

لَنَا الْحِصْنَانِ مِنْ أَجَاٍ وَسَلْمَى وَشَرْقِيًّا هُمَا دُونَ أَنْتِحَالِ
وَتَيْمَاءَ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمِيئَاهَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي^(١٢)

ولذا عرّف المرزوقي تيماء الحجاز بأنها: "بلدة بناحية يثرب"،^(١٣) كما عرّف تيماء الواردة في شعر امرئ القيس، بأنها هي تيماء نجد.^(١٤) وتيماء هذه، أي: البعاث الآن، هي التي يدعها طريق المدينة من القصيم، ذات اليمين، قبل أن يصل إلى منهل النقرة، بما يقارب ٤٠ كم.^(١٥) وهي تقع على ضفاف وادي الرمة، وهي قريبة من وادي الثلبوت.^(١٦) ودون مورد الحاجر الذي يقع في

(١٢) أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ١ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ٢: ٧٠٩. لاحظ قوله: "شرقيا"، أي جهة شرق جبل سلمى، ثم قوله: "من عهد عاد"، فهي في منطقة طيء قديما، ولم تكن تيماء الحجاز لهم قبل الإسلام.

(١٣) المرزوقي، شرح الحماسة، ٢: ٧١٠. وانظر: ياقوت، معجم البلدان، "إثمد".
(١٤) المرزوقي، شرح الحماسة، ٢: ٧١٠. والحقيقة أن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوخ (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ٣٣٠، عنها بقوله: "تيماء هنالك، تيماء: منزل كثير النخل، عادل عن محجة العراق."

(١٥) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٩٩.

(١٦) عبدالله بن محمد الشايع، نظرات في معاجم البلدان، ١ (الرياض: مرام للطباعة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ٣٥٩-٣٦١، ٤٠٣-٤٠٧؛ وانظر: حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)، ١ (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ١: ٢٧٢، ٢٠٩؛ وعبدالله بن محمد بن خميس، أودية الجزيرة، ١ (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٩هـ)، ١: ١٧٢-١٨٣.

فضل بن عمار العماري

أقصى الحدود الشمالية الغربية للقصيم، فوق عقلة الصقور، فهي تبعد عنه بضعة كيلومترات.^(١٧)

وهذه هي تيماء في قول النمر بن تولب:

شَطَطَتْ بِجَمْرَةٍ دَارُ بَعْدِ الْمَامِ نَأْيٌ وَطُولٌ بَعَادٍ بَيْنَ أَقْوَامِ
حَلَّتْ بِتَيْمَاءَ فِي قَوْمٍ إِذَا اجْتَمَعُوا فِي الصُّبْحِ نَادَى مَنَادِيهِمْ بِإِشَامِ
وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِهَا وَالِدَارِ جَامِعَةٍ بِالْخَرْجِ فَالْتَهَى فَالْغَمْرَاءِ فَالْدَامِ^(١٨)

فمواطن جمرة، هي: الخرج، والدام، في جنوب شرقي الجزيرة العربية؛ واتجاه الرحلة من الجنوب الشرقي للجزيرة العربية، متجهة غربا، مارة بتيماء (البعايث)، ومواصلة الرحلة إلى بلاد الشام، مارة بالقصيم، ففيد، فدومة الجندل؛ ولا يمكن أن تمر بتيماء الحجاز، مجتازة الدهناء، فهذه الطريق هي الأنسب، والأوفق، والطبيعية.

وعلى هذا، فإن تيماء في القول المنسوب إلى المجنون:

وَخَبَّرْتُمَنَانِي أَنْ تَيْمَاءَ مَنَزَلٌ لَيْلِي إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَايِسِيَا^(١٩)

(١٧) محمد بن ناصر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم)، ط ١ (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ٢: ٧٦٩.

(١٨) شعر النمر بن تولب، تحقيق نوري حمودي القيسي (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٦٩م)، ١١٠.

(١٩) ديوان المجنون، تحقيق أحمد عبدالستار فراج (القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.)، ٢٩٣. وفيه أن ليلى

رحلت إلى العراق، أي في غير وجهة تيماء الحجاز:

يَقُولُونَ لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ الطَّيِّبَ الْمُدَاوِيَا

السموأل: الحقيقة والتاريخ

ليست هي تيماء اليهود- الحجاز، وإنما تيماء هذه- البعايث (أو تيماء بقرب
تهلان)، حيث الانتقال من بلاد بني عامر، في الأفلاج، واستقبالهم هناك.
وحيث تعددت التحريفات، أو التصحيقات، أو حتى تحقيق الأسماء لتيماء، ونضيف
هنا إلى تلك اسما آخر هو: "توماء"، بضم التاء، كما في التاج،^(٢٠) أو بفتحها، مع إيراد رواية
ثانية هي: "تيماء"، كما في ديوان جرير، في قوله:

صَبَّحْنَ تَوْمَاءَ وَالنَّاقُوسُ يَقْرَعُهُ مَسَّ النَّصَارَى حَرَّاجِيحًا بِنَا تَجِفُّ^(٢١)

وذهب ابن بليهد إلى أنها (تيماء الحجاز)، فقال "توماء: لا تكون إلا في جهة الشام، لأنه ذكر
الناقوس فيها."^(٢٢)

والواقع أن: "توماء / تيماء" هذه، أخت في الاسم لأولئك التيماءات، ولكنها في
الشام، حقيقة، لأن جريرا يقول في قصيدته التي يمدح بها يزيد بن عبد الملك:
سَارُوا إِلَيْكَ مِنَ السَّهْبِيِّ وَدُونِهِمْ فَيحان فالحزن فالصمان فالوكف^(٢٣)

والسهبي: أعلا بلاد تميم، فخط الرحلة متجه من نجد إلى دمشق، من دون المرور بجهة تيماء
الحجاز.

وانظر: عبدالله بن محمد بن خميس، معجم جبال الجزيرة، ط ١ (الرياض: مطابع الفرزدق،
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ٢: ١٨ - ١٩. فإذا كانت "تيماء" الحجاز، فيجب أن يكون البيت لجميل؛ انظر:
ديوان جميل، تحقيق حسين نصار (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٧٩م)، ٢٢٢.

(٢٠) السيد محمد مرتضى الزبيدي، التاج، ط ١ (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ)، "تومة".

(٢١) ديوان جرير، تحقيق نعمان محمد أمين طه (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م)، ١: ١٧٣.

(٢٢) ابن بليهد، صحيح الأخبار، ٢: ١٨٥. والغريب أن ابن بليهد حدد تيماء، الواردة في شعر امرئ القيس
بأنها: "الواقعة في القطعة الشمالية من نجد"، ولكنه عاد، فخلط بينها وبين تيماء الحجاز، ١: ١٧٢.

(٢٣) ديوان جرير، ١: ١٧٢.

فضل بن عمار العماري

وتوماء، أو تيماء هذه، هي: قرية بدمشق، محصنة، ذات أبواب، فمن أبوابها: باب توماء.^(٢٤)

توماء: بلد بالجزيرة الفراتية.^(٢٥) وإذا كانت بعض الأسماء تنطق: تيمن/تيمان، فليس ببعيد أن يكون أحد أصول الاسم أو تحريفاته: تمن، في قول كثير:
كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ لَمَّا تَخَلَّلَتْ مَخَارِمَ بَيْضًا عَن تَمَنٍّ جَمَالِهَا

وتمن كذلك: موضع بين مكة والمدينة.^(٢٦) أي: تيماء.

وكان يطلق على مكة المكرمة، ضمن الأسماء التي يطلق عليها: تيماء.^(٢٧) فلعل تمن، هذه هي الأصل في الاسم. وتيماء (البعايث) هذه، هي التي جاءت في قول ضاحية الهلالية:

فَمَا وَجَدُ مَغْلُولٍ بِتَيْمَاءٍ مَوْثِقٌ بِسَاقِيهِ مِنْ ضَرْبِ الْقَيْونِ كُبُولٌ^(٢٨)

(٢٤) التاج، "تومة".

(٢٥) ياقوت، معجم البلدان، "توما".

(٢٦) أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، ط ٣ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، "تمن، تيمان، كراء." وانظر: عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، ط ١ (مكة المكرمة: دار مكة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٢: ٤٠.

(٢٧) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٩٩.

(٢٨) عبدالرحمن محمد الوصيفي، شعر بني عامر (جدة: مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ٢: ٤٠٠. انظر تعجب الجاسر (في شمال، ٣٣٦)، من ذكر ابن خلدون أن مالك ابن عُفَيْل، كانوا في أرض تيماء من نجد، ثم انتقلوا إلى البصرة، فهو يقول: "هذا غريب حقا، وأخشى

السموأل: الحقيقة والتاريخ

وهو منسوب للمجنون أيضا برواية "صنعاء"، "بدلا من" تيماء، "ولم يسكن بنو هلال تيماء الحجاز قط.

أما تيماء: القرية الصغيرة، قرب ماء الكلاب، وبسفح جبل ثهلان، فهي التي جاءت في شعر ذي الرمة الذي يقول:

فَمَا شَهَدَتْ خَيْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ غَارَةً يَثْهَلَانُ تَحْمِي عَن فُرُوجِ الْحَقَائِقِ
أَدْرُنَا عَلَى جَرْمٍ وَأَوْلَادٍ مَذْحَجٍ رحى الموت تحت اللامعات الخوافق

ثم يقول:

فَأَمْسُوا بِمَا بَيْنَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً وتيماء صرعى من مُقْضٍ وَزَاهِقٍ^(٢٩)

وتيماء هذه هي: تيمن، أيضا، وفيها يقول وعلة الجرمي، في معركة الكلاب الثانية، التي يشير إليها ذو الرمة، سابقا:

ولما رأيت القوم يدعو مُقَاعِيسَا وَيَقْطَعُ مِنْ نِي تَغْرَةَ النَّخْرِ حَائِرُ
نَجْوَتِ نَجَاءٍ لَيْسَ فِيهِ وَتِيرَةٌ كأنني عقابٌ دون تَيْمَنَ كَاسِرٍ^(٣٠)

أن تكون عبارة ابن خلدون غير مستقيمة. "ولو تبنى الجاسر حقيقة تيماء (البعايث) بنجد، لتلاشى عدم استقامة عبارة ابن خلدون، ولزالت الغرابة.

(٢٩) ديوان ذي الرمة، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح (بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ١: ٢٥٥ - ٢٥٩. فُرُوج: ثغور. الحقائق: ما حميت من نسب أو قريب. المعازق: المساحي. مقض: يجود بنفسه. زاهق: خرجت روحه. ولم تذكر المصادر التاريخية والجغرافية تيماء هذه في شعر ذي الرمة.

(٣٠) ياقوت، معجم البلدان، "تيمن". جاءت الرواية مناسبة في: أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، ط ٢ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، ٥: ٢٣١.

فضل بن عمار العماري

وكثيرا ما كان يطلق على تيماء (البعايث)، وتيماء التي تقع جنوب بلدة الشعراء، بمنطقة الدوادمي الاسم: "تيمن" وكلتاها هضبة حمراء، تقول جحيفة النميرية، في الثانية: صحا القلب إلا من ظغائن فاتني بهن نميري لتيمن قارب

وإشارة عبدة بن الطيب إلى "تيمن" بقوله: "سموت"، يعني الذهاب علوا نحو (البعايث)، في "القصيم":

سموت له والركب حين وجدته بتيمن يبيكه الحمائم المغرد^(٣١)

نجوت نجاء ليس فيه وتيرة كأنني عقاب عند تيماء كاسر

وهي الرواية التي أثبتها المحقق في الحاشية، كما جاء في الأصول. ومع هذا عرف "تيماء" حسب الفهم الشائع: "تيماء: في وادي القرى". وذكرها عمرو بن لجأ، شعر (عمر) بن لجأ، تحقيق يحيى الجبوري، ط ٢ (الكويت: دار القلم، ١٩٨١م)، "تيمن" مرة، وذكرها "تيماء" مرة أخرى في قوله، ص ١٠٥: ويوم تيمن نحن الناحرون بها جبار مذحج والجبارة ينتحر

كما قال، ص ١٢٤:

فلما أن لقوا رؤساء سارت بمذحج يوم تيماء والشليل

وإن ظن محقق شعره أنها: "تيماء، بلد في أطراف الشام". وانظر حول هذا: سعد بن عبدالله جنيد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ١: ٢٥٤ - ٢٥٨. ومما سبق يتبين أن "تيمن" كانت تسمى أيضا: "تيماء"، وليس كما قال ابن جنيد، ١: ٨٨٣: "تدعى في هذا العهد تيماء". وانظر: ياقوت، معجم البلدان، "تيمن".

(٣١) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، اللسان (بيروت: دار صادر، ١٩٥٦م)، "تمن".

السموأل: الحقيقة والتاريخ

لقد ذكرت الدراسة أن بنجران مدينة اسمها: تيماء، واستشهدت بشعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ولا بد أن تكون تيماء، أو تيمات، كما وردت في شعر عمرو، تسمى: "تيمن"^(٣٢) أيضا، قال عروة بن الورد:
وكيف ترجيها وقد حيل دونها وقد جاوزت حيا بتيمن منكرا^(٣٣)

وتقع "تيماء/تيمن" هذه في أعلى وادي بيشة، شمال نجران،^(٣٤) ثم هناك "تيمن" في ديار بني محارب، قرب الربذة.^(٣٥) يقول لبيد، ذاكرا فتك البراض بالرحال:
وأبلغ إن عرضت بني كلاب وعامرَ والخطوبُ لها مواليا
بأن الوافد الرحال أمسى مقيما عند تيمن ذي طلال
وقال الحكم الحضري:

أبكاك والعين يذري دمعها الجزع
بِنَعْفِ تَيْمَنٍ مِصْطَافٍ وَمُرْتَبَعٍ^(٣٦)

ثبت لنا الآن أن تيمات/تيماء/تيمن، التي استشهدنا بها في الدراسة هي التي جاءت في شعر عمرو بن معد يكرب، ولاحظنا استبدال الهمزة فيها. ومر بنا قول عروة بن الورد في

(٣٢) ياقوت، المشترك وضعا والمفترق صقعا، تحقيق فرديناند وستفيلد (جوتنجن: جامعة جوتنجن، ١٨٤٦م)، ٦٣.

(٣٣) ياقوت، معجم البلدان، "تيمن".

(٣٤) انظر: إسماعيل بن علي الأكوخ، البلدان اليمانية، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، حاشية ص ص ٦٣، ٧٥. وذكر حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ط ١ (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ١: ٦٥١: يُمن، من قرى أبها في عسير.

(٣٥) ياقوت، المشترك وضعا، ٦٧، وذكر البلاد، معجم معالم الحجاز، ١٠: ٣٥: "تيمن: ريع بين وادي الفرع والسقيا".

(٣٦) ابن جنيد، المعجم الجغرافي، ١: ٢٥٧ - ٢٥٨.

فضل بن عمار العماري

(تيمن) هذه. ولم يقتصر استبدال الهمزة على التاء، أو قصرها، لتصبح (تيمن)، بل إن الهمزة قلبت نونا، فهذا عامر بن الطفيل يقول:

فأصبح لا في سِوَامِ فدائه وأصبح في تيمان يخطر ناعما

وهذه تيماء الواقعة في القصيم، أي (البعايث)، أو كما حددها البكري: موضع في ديار بني عبس.

ولكن البكري قال عن تيمان هذه، والتي حددها في ذلك الموقع: "انظره في رسم كراء"، ثم استشهد بقول عروة، الذي أوله:

تحل بواد من كراء مضلة تحاول سلمى أن أهاب وأحصرا

وكيف ترجيها...^(٣٧)

وحدد "تيمن" في قول عروة، كما حدده ياقوت، بقوله: "أرض قبل جرش، في شق اليمن، وثم كراء"، أي: إن تيمان، في قول عامر، هي تيمن، في قول عروة. ولكن البكري الذي ذكر تيمات، في اليمن، إلى جانب "جند"، في شعر عمرو بن معد يكرب، لم يفصل هنا بين تيمان، في ديار بني عبس (البعايث)، وتيمان في نجران، مع أن كليهما موضعان مختلفان، وإن أفادنا بمعرفة التغيير والاستبدال.

وهناك بالقرب من بصرى، شرق وادي عربة (بين الكرك ومعان)، توجد: تيمان/شوبك.^(٣٨)

(٣٧) البكري، معجم ما استعجم، "تيمان، كراء." وروى البكري، "يمن"، "قال بعضهم: إنما سمي اليَمَنَ يمنا، بتيمن بن قحطان."

= René Dussaud, *La Pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam* (Paris: Librairie Orientaliste R. Paul Gauthier, 1955), 26. (٣٨)

السموأل: الحقيقة والتاريخ



= وانظر الخلاف حول قراءة: تيمان، تيماء، تيماني؛ وكذلك تمنا، تمته، تمنا، تمنا - الواردة في العهد القديم:

O. Odelain and R. S'guineau, *Dictionary of Proper Names and Places in the Bible*, translated by Matthew J. O'Connell (New York: Doubleday, 1981).

كما استنتجت الدراسة عدم وصول امرئ القيس إلى السموأل من شعره، فإن شعره يبين كذلك الطريق التي سلكها إلى قيصر، الذي تحاول القصة أن تجعله يودع أسلحته عند السموأل، ثم يتجه منها إلى قيصر، ولا نجد في هذا الشعر شيئاً من ذلك، مع أنه ذكر أماكن في الشام، وجاء في شعره ذكر أماكن أخرى، ليس منها تيماء الحجاز، يقول:

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّلْحِينَ وَقَدْ أَتَتْ عَلَى خَمَلِي خُوصُ الرُّكَّابِ وَأَوْجَرَ
فَلَمَّا بَدَا حُورَانَ فِي الْآلِ دُونَهُ نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بَعَيْنِكَ مَنْظَرًا

ثم يقول: ولو شاء الغزو من أرض حمير ولكنه عمدا إلى الروم أنفرا.^(٣٩) وليس هناك طريق يربط تيماء بنجد، وإنما كل الطرق تنطلق نحوها من جهات يشرب، المدينة المنورة جنوبا، أو من جهات وادي السرحان شمالا، وهناك الرمال المهلكة التي تفصلها عن بلاد طيء. وواضح - دون جدال - أن امرأ القيس رحل مباشرة عن طريق وادي السرحان إلى حوران وأن "خملي" و"أوجر" في اتجاهها، وليس هناك داع لتعسف والإصرار على رواية "حمل" و"أعفر" كي يمر بتيماء، كما زعم الجاسر^(٤٠) حتى إن الرواية الصحيحة لقوله: "وحلت سليمان بطن قو فعرعرا،" هي: "ظبي" في طرف السماوة،^(٤١) و"عرعر" هنالك معروفة.

(٣٩) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م)، ٦١.

(٤٠) الجاسر، شمال المملكة، ١: ٩٩ - ١٠١، وانظر: ٢٠١، ٣٥٦ - ٣٥٨، ٣٥٨، ٤٥٨.

(٤١) ياقوت، معجم البلدان، "ظبي، عين ظبي"، وانظر: محمد بن ناصر العبودي، بلاد القصيم، ط ١ (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٥: ٢٠١٨. ومن المؤسف أن العبودي يبدو مجاملا كثيرا لحمد، فهو في الحقيقة لا يتفق معه في أن "عرعر"، هو في موقع مدينة عرعر الحالية، ويرى، ص ٢٠٥١، أنه "في أطراف بني أسد، متصل بأرض غطفان"، ثم إن البكري، معجم ما استعجم، "ظبي"، يحدد

السموأل: الحقيقة والتاريخ

إن هذا هو التحديد الصحيح، إذا التزمنا بالقرب من عرعر، أو في الحدود نفسها، أما أن نقول: قو: واد يقع في الشمال الغربي من الجزيرة، بين خيبر وتيماء، يخترق الجهراء (الجناب قديما)، ويقع جنوب تيماء، يجزعه الطريق من خيبر إليها، ينحدر من المرتفعات الواقعة شمال خيبر (أطراف الحرة، وما حولها)، وينحدر متّجها صوب الشمال، تاركا جبلي رواف وبرد يمينه، حتى يفيض في المنخفضات الواقعة بين جبلي برد وغنيم، وفي شرق الجهراء تقع أعالي الوادي،^(٤٢) فهو كلام خاطئ، غير صائب، لأنه يتعدى حدود القرب، إلى منطقة ليس هو منها، وقوهذه، غير قو/ظبي في شعر امرئ القيس، وما ضلل الجاسر إلا تمسكه برحلة امرئ القيس إلى تيماء الحجاز التي لم تقع قط.

ليس هناك اتفاق واضح بين علماء الآثار المعاصرين على هذا القصر، إذ يطلقون عليه عدة أسماء: قصر الدير - قصر ظلوم - (قصر الأبلق) - الرضم. وإلى غرب القصر يمتد سور المدينة العظيم على مساحة حوالي ١٠٠م، من القصر، من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.

"عرعر" هذه في "العالية". أما اقترانه ب"قو"، فنجد - حسبما حددهما العبودي - في قول جرير الذي سار على نهجه تعبيرا وطريقا، فقال، ١ : ٤٦٨ :

تباعد هذا الوصل إذ حل أهلها بقو وحلت بطن عرق فعرعرا =

= وانظر ذكر قوه عنده كثيرا، ١ : ٢٢٢، ٣٥٣، ٤٦٨، ٥٠٧، ٥٩٩، ٧١٧، ٧٤٨ - ٧٤٩، ٨٤٨،

٨٨٦، ٩٦٥، ٩٨٥.

أما الخلاف الذي يثيره الشايع حول "قو/قصيبا"، بأنه "القعة"، فليس بأكبر أهمية. انظر، نظرات، ٢٠ : ٢٩٣.

(٤٢) الجاسر، المعجم الجغرافي، شمال المملكة، ٣ : ١١٢٥، وانظر: ١١٢٤، ١١٢٦.

ويعد القصر بناء ضخما، يتكون من أحجار جيدة القطع، وضعت في مداميك منظمة من البناء الحجري الخشن، ويبلغ متوسط الأحجار ٤٠ - ٦٠ م طولا وحوالي ١٥ - ٢٠ م ارتفاعا. وقد ألحق بالأسوار الخارجية الرئيسة أسوار حجرية أخرى، بني بعضها في اتجاه القصر نفسه، والأخرى في اتجاه مخالف. وترتفع مجموعة من هذه الأسوار إلى ارتفاع ٣٥ م. ويزيد سمكها على ٢ م. والقصر نفسه عبارة عن بناء حجري مستطيل الشكل.^(٤٣)

وعلى هذا، فالقصر - قصر الأبلق - ليس كما حاولت المصادر العربية تصويره، اعتمادا على ما تردد من أنه "الفرد" - بأنه خارج أسوار تيماء، بل هو داخل أسوار تيماء، ولا بد لأي زائر لتيماء من الدخول من بوابتها الرئيسة، لا أن يتجه مباشرة إلى القصر نفسه؛ فوجود القصر منعزلا عن تيماء، هو على خلاف طبيعة التحصين في تلك المنطقة، ولو كان حادث التضحية المزعوم جرى حول أحد حصون خير، لجاز هذا.

أما وصف ياقوت له، في القرن السابع الهجري، بأنه منعزل، فهو ربط لواقع القصر بالأخبار الأدبية حوله، إذ الواقع أن ياقوت يتحدث عن هذا القصر في ذلك الزمان، بعد أن تهدمت أسوار المدينة، وغدا القصر آثارا.

أما وصف الأعشى للقصر، ذلك الوصف الذي لا يتوافق مع طبيعة البناء، كما تحدد في الدراسة، فإن الدراسات الأثرية تؤكد كل التأكيد، فهو على الرغم من وصفه بالبناء الضخم، فإنه بناء لا يتكون من طوابق أرضية وعلوية، كما وصفه الأعشى، وإنما من غرف متجاورة ومستطيلة البناء.

أما مادة البناء، فهي: الأحجار، والطوب الطيني. وعلى الرغم من وجود أحجار طويلة جدا منحوتة، فإن أهم ما يميز هذا القصر عن الصورة الشائعة في الشعر، هي أن هذا القصر بني فوق أرض مستوية، منبسطة، وليس فوق جبل، كما جاء في البيت المنسوب

(٤٣) حامد إبراهيم أبو درك، دراسة نقد ومقارنة، ط ١ (الرياض: المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٦ هـ)، ٣٦.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

للسموأل: "لنا جبل يحتله...". "قصر الحمراء على حافة جبل عند نقطة تحدد النهاية الشمالية الغربية للسور الرئيسي لمدينة تيماء."^(٤٤)

وأهم فارق بين القصر المنسوب للسموأل، وهذا القصر هو اللون: فالقصر الأول يدعى: الأبلق، وهذا: الأحمر. ثم إنه يقع على حافة جبل شمال غربي سور تيماء. وإضافة إلى هذا "لا يوجد هناك أي دليل على وجود مصدر يؤخذ منه الماء (الصهاريج أو الآبار) التي تكون بالطبع ضرورية لحياة هذا القصر، فبالرغم من وجود مساحة زراعية واسعة تمتد إلى الجنوب الغربي."^(٤٥)

وتحدد لنا بهذا ذلك الخلط المشوش في رسم صورة الأبلق، بحيث نعود تلقائياً إلى جبال نجران، وإلى الأبلق لبني الحارث فيها.

ويقودنا هذا التحقيق إلى ما قاله عبد القدوس الأنصاري، في زيارته لتيماء، تعليقا على ما نسب إلى السموأل من قول:

لنا جبل يحتله من نجيره مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى السنجم فرع لا يُنال طويل

إن صح أن هذا القول للسموأل - وقد لا يكون صحيحا - فإننا قد نشاهد "أبلقه الفرد" هذا من كتب. فإذا هو جبل أسود صغير، لا يرهق الصعود إليه أي إنسان، كما أن الحصن الذي يعلوه أسود، أو أن بقاياها هي السود الآن، وقد يكون فيما مضى أبيض أبلق، وذهب بياضه مع الأيام أو بحوادث، إلا أن الجبل، على كل حال، ليس كما وصفه: "له فرع لا ينال طويل."^(٤٦)

(٤٤) أبو درك، دراسة نقد، ٣٧.

(٤٥) أبو درك، دراسة نقد، ٣٨.

(٤٦) عبد القدوس الأنصاري، بين التاريخ والآثار، ط ٣ (جدة: مطابع الروضة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)،

إن حديث عبدالقدوس هنا يتعلق بقصر الحمراء، الذي يقع على حافة جبل، وهو على نقيض الأبلق، في كل شيء وهذا دليل من الأدلة الكثيرة على صفة ذلك القصر. وقول عبدالقدوس ذلك دقيق صائب، وليس هو مثل قول حمد الجاسر، الذي تجاسر، فقال رافضا حقائق التاريخ كلها، من أجل قبول وجود السموأل: "ولاشك أن الديانة اليهودية قد انتشرت في تيماء، ولكن سكانها لم يكونوا يهودا، بل كانوا في ذلك العهد عربا قحطانيين من غسان."^(٤٧)

وبعده قال: "وبالإجمال فإن سكان تيماء من العرب الصريحين في نسبهم، وكانوا عند ظهور الإسلام يدينون باليهودية، ثم انتقلوا إلى الإسلام بعد أن توطدت قواعده في الجزيرة العربية، ومن تركوا اليهودية أبناء السموأل الذين كانوا في تيماء في منتصف القرن الرابع الهجري، كما قال أبوبكر بن دريد: السموأل بن عادي بن حيا من الأزدي وأولاده بتيماء اليوم."^(٤٨)

فالجاسر ينبغي أن يكون سكان تيماء من اليهود صليبية. وما هدفه من ذلك إلا التشبث بأن السموأل من غسان، استنادا إلى رأي ابن دريد (ت ٣٢١هـ).^(٤٩) وكان الأولى أن يتحقق من ذلك، لأن هذا الزعم كان شائعا فيما رواه صاحب الأغاني أيضا (ت ٣٢٨هـ): دارم بن عقال ابن حبيب الغساني... من أبناء السموأل، وهو ما بينت الدراسة بطلانه. ولكن الجاسر يجد نسبه كالتالي: دارم بن عقال بن حبيب الغساني.^(٥٠) وليس لهذا الأمر ما يسنده، سواء من سلسلة الأعلام نفسها، أو النسب نفسه، أو طبيعة العَلَم نفسه؛ وأين الغساني من السموأل صاحب تيماء المزعوم؟ لا بل أين الغساني من السموأل اليهودي في أي زمان ومكان؟

(٤٧) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٣٤.

(٤٨) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٣٤.

(٤٩) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٣٤، وانظر: ٣٣٥.

(٥٠) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٣٤.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

ويبدو أن التناقض الآخر في محاولة الجاسر إثبات قصر الأبلق للسموأل، فهو يحاول أن ينقض قول ياقوت: "أبنية من لبن" و"آثار... لا تدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة". فقال: "إن الحصن مبني بالحجر لا اللبن كما قال ياقوت، وآثاره تدل على العزيمة والقوة، ويظهر أن ياقوتا لم يشاهد تلك الآثار ولكنه نقل وصفها على غير خبير، ولهذا وقع في الخطأ."^(٥١)

وإذا ما حدد ياقوت مادة البناء باللبن، فإنه دقيق في قوله: "لا تدل...". وإذا لم يشاهد ياقوت الحصن، فإن التطيلي، المعاصر لياقوت فعل ذلك، وياقوت - كعادته - دقيق في عبارته، إنه يقصد تلك العظمة الأسطورية في وصف الأعشى، وما نسب للسموأل.

ومع هذا، فإن الجاسر، الذي يريد أن يثبت شخصية سموأل الأسطورية، لا يجد مفرا من تفسير ذلك بخروج عن الدلالة الحقة، ولذا فهو يقول: "أرى أن حصن سموأل كان يشمل كل مدينة تيماء، فقد أحاطها بسور عظيم وأحيطت من قبل أحد الملوك بذلك السور، وهو يضم قصورا عديدة... وهذا لا يمنع من القول بأنه كان لآل سموأل أجداد ممن قبلهم، ثم هو وأبناؤه كان لهم قصر من بين تلك القصور القديمة."^(٥٢) وكان على الجاسر أن يستفيد من الخلاف حول تيماء التي نزل بها نابونيدوس، كما آثاره موزل، والذي أورده الجاسر نفسه.^(٥٣)

ولكن الجاسر يمضي في إصراره، فيقول: "الزمن بين عهد الزباء وزمن جد سموأل أو أبيه طويل، وهذا يدل على أن الحصن بني قبل سموأل."^(٥٤)

لو التفت إلى البيت الذي جاء فيه هذا المعنى: بنى لي عاديا...، وهو القول الذي كان يجب أن ينسب إلى عبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي، لعلم أن "عاديا" يعني القدم مطلقا، أي "عاد"، وأن الحصن فوق أعالي قمم نجران، لا في سفوح جبال الحجاز، ويثبت هذا، القول المنسوب إلى سموأل المدعى: "طمر تزلق العقبان عنه"، والذي يعني حقيقة: العلو والارتفاع؛

(٥١) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٩٢.

(٥٢) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٩٢.

(٥٣) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٨٢ - ٣٨٤.

(٥٤) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٩١.

فضل بن عمار العماري

فهو بناء أقيم فوق القمم الشاهقة التي هي الملاذ الطبيعي للعقبان، ولكنه أبعد من منال العقبان نفسها، وهو وصف لا يقصد به المبالغة، وإنما يحاكي الواقع كما هو عليه، وهي الطريقة المتبعة في الوصف عند الجاهليين. أما المبالغة، فتأتي نتيجة الثورة والانفعال والهيجان، كما هو الحال في معلقة عمرو بن كلثوم مثلاً.

ومهما كان الخلاف حول مادة البناء، فإن اللبن: أي قوالب الطوب الطيني، هي بعض مادة الغرف الداخلية للأبلىق.^(٥٥)

ويبدو الجدل حول "الأبلىق الفرد" عقيماً، إذا أصر المرء على أنه خارج أسوار تيماء، فياقوت، والجغرافيون الذين زاروا القصر أو الحصن، توهموا أنه كذلك؛ وهذا ما جرّ الجاسر وغيره إلى مثل ذلك الاضطراب، لأن ياقوتا وغيره، إنما كانوا يصفون أنه جزء من عمران المدينة نفسها، كما لاحظ الأثريون المعاصرون؛ وهذا يقدم برهاناً قاطعاً على أن "الأبلىق الفرد" ليس في تيماء الحجاز، وإنما هو حصن في نجران، كما حقق ذلك أبو الأسود الأعرابي في لامية الحارثي، لا للسموأل.

وتؤيد الدراسات استحالة وجود قصر خارج أسوار مدينة تيماء، وأن القصر كان منعزلاً، لأجل الدفاع والحماية، وأنه: لم يتم اكتشاف أي أثر يدل على الإقامة السابقة خارج أسوار المدينة، وهذه حقيقة تؤيد الرأي القائل: "إن الحياة الاجتماعية كانت متمركزة دائماً داخل هذه الأسوار المحيطة بكامل المنطقة المعروفة بتيماء."^(٥٦)

والغريب أن الجاسر الذي يدافع عن زيارة امرئ القيس إلى تيماء، يغالط نفسه حين يصحح بقوة ما ينقله عن موزل بخصوص هرب امرئ القيس إلى تيماء، ثم قوله: "وظهر على الفور بعض الصيادين من بني ثعل، وكان ثعل جيراناً للسموأل." يقول الجاسر: "هذا خطأ،

(٥٥) أبو درك، مقدمة دراسة نقد ومقارنة، ٢٧ - ٢٨.

(٥٦) أبو درك، دراسة نقد ومقارنة، ٧٦.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

فبنو ثعل بقرب الجبلين بلادهم، وهم من طيء.^(٥٧) وكان هذا الاعتراض سيؤدي به إلى تيماء (البعيث)، وإنكاره الزيارة، لولا إصراره.

أما مسألة سكن سموأل بتيماء وأن آله بقوا فيها، كما ذكر ابن دريد وأبو الفرج، لمجرد ربط نسب دارم بن عقال بالسموأل، فإن هذا مما التبس على الأذهان، لأن تحديد هوية سموأل نفسه مضطرب مغلوط، فهذا الفلقشندي يقول: "خير: بها كان سموأل بن عادياء، الشاعر المشهور."^(٥٨)

كما أن الآثار التي وجدت بتيماء، حتى الآن آثار ثمودية، ولحيانية، وديانبة، وإضافة إلى هذا، فإن قصر الرضم (الأبلق؟) شيد أساسه حوالي أواسط القرن الخامس قبل الميلاد.^(٥٩) ولم تعد القضية، بعد هذا، محصورة في استحالة وجود شخصية أدبية في أي عصر، باسم "السموأل بن عادياء" وإنما في وجود قصر، أو حصن، في تيماء، باسم "الأبلق"، ليس في تيماء، وإنما في حجر اليمامة، تبعاً للأسطورة، وكذلك المثل: "تمرد مارد وعز الأبلق"، وفي نجران، حسبما جاء في شعر عبدالملك الحارثي "هو الأبلق..."، فهو تبعاً للقول المنسوب إلى سموأل، وفي حقيقته لعمر بن قعاس المرادي:

بنى لي عادياء حصناً حصينا وعينا كلما شئت ارتويتُ
وأطمأ تزلق العقبانُ عنه إذا ما ضامني أمرٌ أبيتُ

وهو وفقاً لما قال الأعشى، في خلط واضح بين الأسطورة والواقع:

ولا عادياء لم يمنع الموت ماله وورد بتيماء اليهوودي أبلقُ
بناه سليمان بن داود حقبه له أزج حم وطى موشقُ

(٥٧) الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ٣٨٥. وانظر: Alois Musil, *Northern Nagd* (New York: American Geographical Society, 1926), 226.

(٥٨) أبو العباس أحمد علي الفلقشندي، *صبح الأعشى* (القاهرة: مطبعة كوستاتوماس وشركاه، د.ت.)، ٤: ٢٩٠.

(٥٩) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية (الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩٥هـ/١٩٧٣م)، ١١٤، ١١٨.

وهو حصن لبني الحارث، كما قال عبد الملك، ونسب للسموأل:
وهو الأبلق الفرد الذي سار ذكره يعز على من رامه ويطول

ولعله "الأبرق الفرد" في قول الآخر، وفي غير تيماء الحجاز:
خليلي مرا بي على الأبلق الفرد عهدا لليلي جذاك من عهد^(٦٠)

ولولا قول الأعشى ذلك، لما عرفنا "الأبلق" في تيماء، خطأ في الحجاز، حتى أصبح تعريفه وتحديد فيه أمرا مقررًا، ولذا، فلا "أبلق" في تيماء، وإنما الأبلق في غيرها، ولعل اسمه "الرضم"، وهو اسم قديم معروف تتداوله الروايات الشعبية والتراث الشفوي الشعبي بين السكان المحليين، ولكنه تحول إلى "الأبلق" بتأثير الأشعار والأخبار، وقد عاد إلى اسمه الأصلي الآن، فأصبح يعرف أيضا بـ"الرضم": و"ظلوم"، وبحق قال أبو درك عنه: "لازال اسمه الحقيقي وأصله سرا من الأسرار التي لم يكشف عنها."^(٦١) وها نحن الآن نأمل أن يزول ذلك الغموض. وهنا نتساءل عن الأهمية الحضارية لتيماء؛ إذ إن أهمية تيماء التاريخية تعود إلى موقعها الجغرافي، كحلقة وصل على طرق القوافل التجارية بين شمال الحجاز وجنوبه، كما اكتسبت سمعة أسطورية لما شاع عن قصة سموأل، وارتبط ذكرها باليهود، حتى عظم من شأن اليهود فيهما أيما تعظيم.

وتيماء مدينة تاريخية عريقة، ليست خاصة بثقافة اليهود وحدهم، فقد عثر فيها على آثار ثمودية، وآرامية، وكانت الديانة بها وثنية، وكانت العبادة فيها للآلهة: صلح، وأضشيماء، وشنجلا.

(٦٠) التاج، "برق".

(٦١) أبو درك، دراسة نقد ومقارنة، ٢٣. ونزداد ثقة حين نعلم أن "الأبلق الفرد" بتيماء التي في أطراف الشام، وليس في تيماء الحجاز. انظر: الجاسر، شمال المملكة، ٢: ٥١٢، نقلا عن البكري، وليس فيه؛ وانظر: ٦٤٠: ٢.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

أما من الناحية الثقافية، فإن الإشارة النادرة إلى أثر اليهود فيها - وإن كان بها نقوش عبرانية- هو قول الشماخ:

كما خَطَّ عبرانيةً يمينه بتيماءَ حَبْرٌ ثم عَرَضَ أسطرا^(٦٢)

ولا تدل هذه الإشارة على ممارسة مرنة للكتابة، أو أن التعليم بها كان سائدا، ذلك أن الذي كان يتولى الكتابة هو عالم من العلماء اليهود "حبر"، وهم من الندرة - كما يفصح البيت نفسه - حينما حدد الكاتب بـ"حبر"، أي عالم واحد، وليس "أخبارا". وهذا الحبر نفسه لم يكن يتقن الكتابة جيدا، لأنه "عرض أسطرا"، أي: إن كتابته كانت صعبة، غير متقنة، مع أنه يقوم بكتابة عمل ديني، ودليل هذا أنه شبه هذه الكتابة برسوم الديار، وأطلالها في قوله:

أتعرف رسما دارسا قد تغيرا بذروة أقوى بعد ليلى وأقفر^(٦٣)

أما اللغة التي كان يكتب بها، فهي: العبرانية، وهي لغة خاصة برجال الدين. ويشير هذا إلى تدني المستوى الثقافي لأهل تيماء عامة. أما تيماء - التي ظل ذكرها مرتبطا باليهود - فهي التي جاءت في قول ابن ميادة:

ومرا على تيماء نسال يهودها فإن لدى تيماء من ركبها خيرا^(٦٤)

(٦٢) أبو درك، دراسة نقد ومقارنة، ٥٣ - ٦٦. ولعل مما يفتح المجال للنقاش أن الأعشى ذكر "الأبلق" في شعره، في غير هذا الموضع، فقال، ص ٣٣٧:

أتاني وِعُونُ الحُوشِ بيني وبينكم كرادسُ من جنبي فُتاق فأبلقا

وحتى على رأي ابن بليهد، صحيح الأخبار، ١: ٢٢٨، أن "فتاق" في منطقة شرق حائل، فهو لا ينقلنا أبدا إلى الأبلق في تيماء الحجاز، فالأبلق يصبح هنا: "قاع واسع، يقع إلى الشمال من الشقة العليا... يبعد عن مدينة بريدة بحوالي ٢٢ كم، إلى جهة الشمال.. قديم العمارة.. فيه آبار عادية"، انظر: العبودي، بلاد القصيم، ١: ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٦٣) ديوان الشماخ، تحقيق صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٧م)، ١٢٩.

ولهذا ارتبط اسمها باليهود، كما هو واضح في قول ابن ميادة، وكما هو واضح أيضا من علاقة اليهود فيها بممارسات يهودية، حافظ اليهود عليها من بقايا التراث الوثني واختصموا بتطبيقه، إلا وهو: الخنساء، خصاء البشر castration، وفي هذا يقول قبيس بن زهير العبسي، في الجاهلية: **أُكَلِّفُ ذَا الْخُصِيِّينَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا وَإِنْ كَانَ شَاطِنًا خِصَاهُ يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ تِيْمَاءَ طَابِنٌ وَلَا يَعْدَمُ الْإِنْسِيَّ وَالْجِنَّ طَابِنًا**

وفي هذين البيتين كشف لواقع علاقة العرب باليهود، فقد أسر بنو عبدالله بن غطفان - وأرض غطفان مما يلي تيماء الحجاز - رجلاً من الضباب، فأخذه الذي أسره إلى تيماء، واستودعه يهوديا، ليغزو، ثم يعود - وهنا بعض مظاهر هذه العلاقة، فمنها ثقة العرب باليهود واثمانهم، ومنها غدر اليهودي بالعرب، لأن القصة تقول: إن حربا وقعت بين عبس وغطفان بسبب المطالبة بدية الأسير، نجا منها اليهود، وقتل العرب بعضهم بعضا، ومنها أن هذه العلاقة تجارية محضة، وليس وراءها دافع إنساني أبدا، وقد خصى اليهودي الضبابي، بعد أن اتهمه بامرأته.^(٦٥)

إن ملاحظة موزل المتشككة في موقع تيماء، جديرة بالمراجعة والتأمل، وألا تؤخذ الأمور على علاقتها، فهو يقول: "أمرو Amurru تدل على المقاطعات إلى الغرب من بابل، وعلى الأخص سوريا." ويقول: "لولا هذه النصوص التي نشرها سميث... لكان ينبغي لنا أن

(٦٤) شعرا بن ميادة، تحقيق حنا جميل حداد (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ١٣٣-١٣٤.

(٦٥) أبو عبيدة معمر بن المثنى، التفتازن، تحقيق إ. إيفان (ليدن: إ. ج. بريل، ١٩٠٨م)، ١: ٩٩-١٠٠.

وانظر عن طقس الخنساء: *The Encyclopedia of Religion, "Castration"* (New York: Macmillan, 1987), 3: 109.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

نبحث عن أرض تيماء، في مكان ما. وهو يدل على هذا ببعد الشقة بين بابل وتيماء، وما يتطلبه هذا من أعباء التنقل والنقل.^(٦٦)

وقد رأينا أن هناك توماء/تيماء، قريبة من أعمال دمشق، وهناك أيضا: توما، في الجزيرة الفراتية، وأن الرحلة إلى تيماء الحجاز، أو حتى تيماء نجد، شاقة، صعبة المسالك، وأن الأدلة المقبولة تشير إلى سوريا، أو على أقرب ترجيح توما، القريبة من حران (حيث وجد النقش الذي يشير إلى تيماء)، غير أن صبحي أنور رشيد يرى أن: "حملة نبونيد إلى تيماء كانت في السنة السادسة من حكمه، أي حوالي سنة (٥٥٠ ق.م.) وقد ناقش الباحثون الطريق الذي سلكه نبونيدوس الذي سكتت عنه وعن ذكر المدن الواقعة عليه كتابات واعتقد الباحثون أن طريقه كان الطريق المؤدي من بلاد الشام إلى شرق الأردن، ثم عبر شمال الحجاز إلى تيماء." وعلى هذا، فقد أدى العثور على مسلات نبونيدوس في حران بتركيا عام ١٩٥٦م، ونشر كتاباتها عام ١٩٥٨م، إلى تحديد مدة إقامته في تيماء بعشر سنوات، وتنقل خلال مدة إقامته بين المدن التالية:

Da-da-nu	(العلا الحالية)	دادانو
Pa-dak-ku	(فدك الحالية)	باداكو
Hi-ib-ra-a	(خيبر الحالية)	خيبر
La-di-hu	(بديع) الحويط الحالية ^(٦٧)	باديخو

ووصل حتى يثرب.^(٦٨)

وحتى الآن لم يعثر على نقش بابلي في تيماء. ولا يدل طراز البناء فيها على مطابقة لهندسة البناء في بلاد الرافدين في ذلك العهد البابلي، خاصة أن النقش يقول: أنه أقام قصرا

Musil, *Northern Nagd*, 226. (٦٦)

(٦٧) صبحي أنور رشيد، "الملك البابلي نبونيدوس في تيماء"، سومر، ٣٥، ع ١ - ٢ (١٩٧٩م)، ١٧٠ - ١٧١.

(٦٨) أبو درك، دراسة نقد ومقارنة، ٤.

هناك مثل قصور بابل، وأنه بنى الأسوار لتحصين المدينة.^(٦٩) ثم إن نقش نبونيدوس عثر عليه خارج تيماء. وتفسير الأماكن السابقة بأنها (العلا - فدك - خيبر - بديع)، تفسير ليس دقيقا، وقد ظهر لنا اسمان جديدان هما: (توماء/تيماء) وتوما، إضافة إلى تيماء (البعايث)، حيث يمكن للملك البابلي نبونيدوس الهروب من الملك الفارسي، واللجوء إلى الأولى بسورية، أو أنه قريب من عاصمة ملكه في الثانية. ثم إن الآثار النقشية في تيماء آرامية، إلى جانب النقوش الثمودية، وليس بينها نقش بابلي واحد، مع أن مدة إقامة نبونيدوس لم تكن قصيرة.

وقد ترك نقوشا في حران، وقد أقام بها، فلماذا لم يترك نقشا في تيماء الحجاز، التي وجدت بها نقوش لسواه، مع أنه أقام بها مدة طويلة، كما يزعم؟ وقد صار جليا الآن أن المقصود بـ"تيماء" في قول امرئ القيس "وتيما لم يترك/ولا أطما"، هي تيماء القصيم، وهي ذات أطم (حصون)، ومنها يصبح الوصول من بابل إلى يثرب وخيبر أسهل وأيسر، لو تم ذلك. هذا، إذا وثقنا بقراءة رشيد.

ولعل مما يزيد الأمر تعقيدا أن النقش يذكر أن نبونيدوس "كان غير عادل، وأنه كان مغضوبا عليه، أقام نصبا للاله القمر سين، في حران، وشن هجوما على تيماء، في أرض أمور، وسيطر على المدينة، وقتل ملكها."^(٧٠) كما يقول: "إنه تخلى عن الحكم لابنه، وقاد حملة إلى سورية ولبنان، حتى وصل إلى تيماء."^(٧١) فالحملة توجهت إلى سورية، ودخلت لبنان، ثم عادت إلى شمال غرب الجزيرة، في حين أن قائدها، لم يكن عسكريا، وكان رجلا مهزوما، فكيف يتسنى له القيام بكل هذا، حتى إن عبارات الملك تشي بضعفه، حيث يقول: "ولم أعد إليها إلا

(٦٩) فمثلا المسلة التي عثر عليها تحمل رموزا دينية تحتها كتابة آرامية (أبو درك، دراسة نقد ومقارنة، ١٣٤)، ليست دليلا على وجود بابلي. وانظر: مقدمة عن آثار المملكة، ١٢٢. وانظر: أبو درك، دراسة نقد ومقارنة، ١٧١ - ١٧٥. حيث لا تدل الصور على يقين علمي. وهناك "يثرب"، البكري، معجم ما استعجم، "يثرب"، وانظر: الجاسر، شمال المملكة، ١: ١٧٤ - ١٧٥.

E. A. Wallis Budge, *Babylonian Life and History*, 2nd ed. (London: The Religious Tract Society, 1925), 53. (٧٠)

Joan Oats, *Babylon* (London: BAS Printer Ltd., 1979), 133. (٧١)

السموأل: الحقيقة والتاريخ

بعد عشر سنوات.^(٧٢) وعلى الرغم من أن صبحي أنور رشيد يقول: "إقامة نبونيدوس في تيماء حقيقة مسلم بها من قبل الجميع؛"^(٧٣) فإن استخدام أبو درك لأداة مثل "إذا"^(٧٤) للتعبير عن مجيء نبونيدوس إلى تيماء، أو إثباته أن الطراز السوري أكثر بروزاً من المعمار في بلاد النهرين،^(٧٥) أو كون حتى بناء الأسوار في تيماء يعود إلى عهد نبونيدوس أمراً احتمالياً.^(٧٦) وطبيعة الانتقال من بابل، وعدم العثور على أي أثر ديني بابلي، يعكس تدين الملك، وهو الحريص على إحياء الديانة القديمة، ومواجهة الكهنة، مع أنه أقام في تيماء عشر سنوات، ثم إن معرفتنا الحالية بتيماء في نجد-البعايث، التي هي أقرب إلى بابل من تيماء الحجاز، في حالة الهروب والتخفي، إلى جانب توماء/تيماء، في سورية، وتوما في الجزيرة الفراتية، ليدفعنا الآن إلى إعادة البحث والنقاش، سيما أن ما ورد في سفر التكوين ٣٦: ١٠ حول تيماء مختلف عليه، فهي: تيمان، ونص التوراة يشير إلى قبيلة، بدلاً عن مدينة،^(٧٧) وبالمثل، فإن "ما ورد في سفر الملوك (الإصحاح العاشر) عن زيارة ملكة سبأ لسليمان التي تمت عن طريق البر، في الوقت الذي كان فيه السبئيون يستعملون الطريق البري من جنوب الجزيرة العربية إلى سورية.^(٧٨) وهكذا في سفر أيوب" في موضع الكلام عن القوافل التجارية لتيماء وعلاقتها مع القوافل السبئية التجارية،^(٧٩) يمكن الخلاف حول المقصود بتيماء، أهي تلك التي في نجران، أم سواها.

(٧٢) Oats, *Babylon*, 133.

(٧٣) رشيد، "الملك البابلي"، ١٧٠.

(٧٤) أبو درك، *دراسة نقد ومقارنة*، ٢٢.

(٧٥) أبو درك، *دراسة نقد ومقارنة*، ٢٢.

(٧٦) أبو درك، *دراسة نقد ومقارنة*، ٩.

(٧٧) Alois Musil, *The Northern Higaz* (New York: American Geographical Society, 1926), 250, 296.

(٧٨) عياش، *مدينة تيماء*، ٤٨٧؛ سفر الملوك الأول، ١٠: ١ - ٢. "وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد

الرب، فأنت لتمتحنه بمسائل، فأنت إلى أورشليم بموكب عظيم."

(٧٩) عياش، *مدينة تيماء*، ٤٨٧. في سفر أيوب، ٦: ١٨ - ١٩: "يعرج السفر عن طريقهم، يدخلون التيه،

فيهلكون. نظرت قوافل تيماء، سيارة سبأ رجوها."

هذا فيما يخص إقامة نبونيدوس في تيماء، وما جاء في العهد القديم، فكيف الحال بنقش حران الذي يصف عهد الملك نبونيدوس واعتلاله وفتوحاته، بمناسبة وفاة والدته،^(٨٠) بل كيف الحال بنقش كالاش الذي يعود إلى عهد تغلات بلاسر (٧٣٢ ق.م.)، والذي يذكر فيه أنه أخضع أهالي تيماء.^(٨١)

يتحدث العهد القديم عن علاقة سبأ بديدان. جاء في سفر حزقيال: "تقول: إني أصعد عن أرض أعراء، آتي الهادئين الساكنين في أمن، كلهم ساكنون بغير سور، وليس لهم عارضة، ولا مصاريع، لسلب السلب ولغنم الغنيمة لرد يدك على خرب معمورة، وعلى شعب مجموع من الأمم المقتني ماشية، وقنية الساكن في أعالي الأرض: سبأ وددان."^(٨٢)

ويذكر الإصحاح الحادي والعشرون من سفر إشعيا، هرب اليهود من ترتان قائد سرجون، ملك آشور، ذاكرا تيماء: "وهي من جهة بلاد العرب. في الوعر، في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين. هاتوا ماء لملافة العطشان، يا سكان أرض تيماء. وافوا الهارب بجبزه."^(٨٣) وفي سفر إرميا، الإصحاح الخامس والعشرون، تهديد لتيماء: "كل ملوك أرض فلسطين وأدوم... وددان وتيماء... كل ملوك العرب."^(٨٤) أما في الإصحاح التاسع والأربعين، فيذكر "تيمان": "هكذا قال رب الجنود: ألا حكمة بعد في تيمان."^(٨٥) وهناك "التيمن"، مقرونة بأدوم، في حزقيال، الإصحاح الخامس والعشرين: "هكذا قال السيد الرب: أمد يدي على أدوم، وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيرها خرابا من التيمن وإلى ددان يسقطون بالسيف."^(٨٦) وينص

(٨٠) عياش، مدينة تيماء، ٤٩٠.

(٨١) عياش، مدينة تيماء، ٤٨٩.

(٨٢) حزقيال، ٣٨: ١١ - ١٣.

(٨٣) إشعيا، ٢١: ١٣ - ١٤.

(٨٤) إرميا، ٢٥: ٢٠ - ٢٤.

(٨٥) إرميا، ٤٩ - ٧.

(٨٦) حزقيال، ٢٥: ٣.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

حقوق، الإصحاح الثالث، على أن "الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران."^(٨٧) وفي المقابل، نجد في سفر التكوين، الإصحاح السادس والثلاثين: "مواليد عيسو، الذي هو: أدوم... هذه أسماء بني عيسو: أليفاز... وكان بنو أليفاز: تيمان."^(٨٨) وفي سفر التكوين، الإصحاح السادس والثلاثين: "حوشام من أرض التيماني."^(٨٩) ونجد النسبة تيماني في سفر أيوب، في أكثر من موضع حيث ذكر: "أليفاز التيماني."^(٩٠)

ويدخلنا كل هذا في مسائل شائكة، تحول تيماء إلى مدينة، ثم إلى قبيلة، والأبعد أثرا في جميع ذلك هو أن موقع تيماء يصبح في بعض الأحيان شمال أدوم،^(٩١) وأن قبائل تيماء أطلق عليها فيما أطلق Taveni، وهي خاضعة للأنباط، بحيث قد يلتصق بالتوانة At-Tawne التي تبعد ٦٥ كم شمال معان، وهي واقعة شمال إدوم،^(٩٢) حيث نجد النسبة "الثيمانيين Themanians، الذين ينسبون إلى Thornia/Thoana"^(٩٣) أو هي التوانة At-Twane.

وليس بعيدا، بعد هذا، أن تكون تيمان، ذات علاقة ببصرى، مدينة إدوم،^(٩٤) فنكون قد أقربنا من توماء/تيماء، إحدى قرى دمشق؛ بل ربما كانت: "توما" في الجزيرة الفراتية (منطقة ما بين النهرين). وهناك أيضا شوبك (تيمان) بالقرب من بصرى، شرق وادي عربة "بين الكرك ومعان".

(٨٧) حقوق، ٣: ٣.

(٨٨) التكوين، ٣٦: ١٠ - ١١.

(٨٩) التكوين، ٣٦: ٣٤.

(٩٠) أيوب، ٢: ١٥، ٤: ١، ١٥: ١، ٤٢: ٦، ١٠: ١٠. Musil, *The Northern Hegaz*, 94.

(٩١) Musil, *The Northern Hegaz*, 249-50.

(٩٢) Ibid., 251-52; see also 249, 250, 264.

(٩٣) Ibid., 311.

(٩٤) Ibid., 249.

أما مرور بلقيس بتيماء في أثناء زيارتها سليمان عليه السلام افتراضاً، فإن خبر العهد القديم يناقضه خبر الموروث الشعبي العربي الذي يجعل سليمان يقترب من مملكة سبأ بمسافة محدودة لا تتجاوز ثلاث ليال،^(٩٥) مما يجعل سليمان يمر بتيماء نجران، لا تيماء الحجاز، بل أن يمر بتيماء القصيم (البعايث). كما يؤيد هذا التراث الأسطوري العربي، يقول ياقوت عن ماء لينة: "إن شياطين سليمان احتفروه، وذلك أنه خرج من أرض بيت المقدس يريد اليمن، فتغدى بلينة، وهي أرض خشناء، فعطش الناس، فعز عليهم الماء، فضحك شيطان كان واقفاً على رأسه، فقال له سليمان: ما الذي يضحك؟ فقال: أضحك من عطش الناس، وهم على لجة البحر. فأمر سليمان، فضربوا بعصيهم فأنبطوا الماء."^(٩٦) أي إننا أمام موقف احتمالي، وهناك أيضاً تحولات الكلمة إلى: تيمن، تيماء... الخ.

والملاحظة المعتبرة في هذا الجدل هي أنه لم يطلق على تيماء: "تيمن"، أو "تيمان"، ومن ثم، فإن النسبة "تيماني" ليست إلى تيماء، وإنما إلى "تيمان"، أو "تيمن"، إذ النسبة إلى تيماء هي أبداً: تيماي.

وبعد، فماذا نقول عن عدّ تفاخر نبونيدوس ذلك، بأنه: "وصف شاعري"^(٩٧)؟ أو أنه: "ادعى الغلبة في نقوشه على أراض لم يطأها قط"^(٩٨) وعلى الرغم من تلك القناعات التي يبثها بحماسة أمثال صبحي أنور رشيد، فإن البحث العلمي ما يزال متردداً في الجزم بإقامة نبونيدوس في تيماء، والطريق التي سلكها، حتى إن ما عثر عليه في جبل غنيم، قرب تيماء، لا يعود إلى عصره.^(٩٩) وهناك آراء تقول: "ربما لا تكون الحوادث المذكورة في نقش حرّان، قد وقعت قط."^(١٠٠) كما أن هناك خلافاً حول تاريخها،^(١٠١) وما تزال قراءة بعض النقوش مشوشة.^(١٠٢)

(٩٥) عبيد بن شرية، أخبار عبيد بن شرية (حيدرآباد، الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٧م)، ٤١٤.

(٩٦) ياقوت، معجم البلدان، "لينة".

(٩٧) Musil, Northern Nagd, 225.

(٩٨) Budge, Babylonian Life, 5.

(٩٩) Israel Eph'al, The Ancient Arabs (Leiden: E. J. Brill, 1982), 180-84.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

ونخلص من هذا إلى التحفظات التي وضعها موزل حول الطريق التي سلكها نبونيدوس:

١ - عدم وجود اتفاق حول بعض الأسماء.

٢ - عدم يقينية بعض التواريخ.

٣ - لا دليل على تقدم نبونيدوس نحو تيماء، بعد اتجاهه نحو لبنان؛ فهناك إشارات إلى تحركات عسكرية في زمنين، أحدهما في آب، والثاني في كسلو، بعد أشهر من الأول، وتباين الطريقين، يجعل من الصعوبة تحقيق الطريق إلى تيماء (الحجاز).

ثم يقول: "حيث إن المصادر البابلية لا تظهر - فيما يبدو - معطيات تعين على تحديد طريق نبونيدوس إلى تيماء، فعلينا الاعتماد على المنطق الجغرافي: ففي ضوء صعوبة تحرك جيش ضخّم عبر وادي السرحان، حتى لو كان التحرك في فصل الربيع، وعلى افتراض أن تعبئة ذلك التحرك كانت على مهل، فإن المعقول أن نستنتج أن نبونيدوس لم يعبر الصحراء السورية الغربية، بل عبر الهلال الخصيب، وهو طريق طويل، ولكنه ملائم لذلك التحرك." ولعل مما يزيد الأمر غموضاً أن جماعات من "تيماء"، منذ عصر آشور بانيبال، جاءت إلى بابل، كما أن بعض النقوش التي تعود إلى عصر نبونيدوس تذكر أن الإبل حملت مواد تموينية من أوروك إلى تيماء، وأن التجارة استمرت بين بابل وتيماء حول صحراء النفود، إما من الشرق، وإما من الغرب، أي عبر الجوف، إلى حائل، وليس عبر الهلال الخصيب، حيث يتضاعف الطريق.^(١٠٣)

وإذن، فالمعضلة مازالت قائمة: أي تيماء هذه؟ أليس من الراجح ألا تكون تيماء الحجاز؟ سيما أننا سنرى خلطاً بين سموأل وقبيلة سمويل التي تسكن غرب الفرات.

Epha'al, *The Ancient Arabs*, 192. (١٠٠)

Epha'al, *The Ancient Arabs*, 181-84. (١٠١)

Musil, *Northern Nagd*, 224-26. (١٠٢)

Epha'al, *The Ancient Arabs*, 187-88, 191. (١٠٣)

لا عجب أن يكون السموأل، هو سموإيل، أحد معبودات العرب القديمة. فإضافة إلى عدد من الأسماء الواردة في الدراسة، من هذا القبيل، هنالك: "في الكتابات الثمودية أسماء مركبة مثل (يعذر ال) (يعذر ايل)، و(صلم ال) (صلم ايل)، (عزر ال) (عزر ايل)، و(سعد ال) (سعد ايل)، و(ود ال) (ود ايل)، اختتمت باسم الإله (ال) (ايل)، مما يدل على أن (ال) (ايل) كان من الآلهة التي تعبد لها قوم ثمود." (١٠٤)

"في الأسماء الديدانية المركبة أسماء آلهة، على راسها (ال) (ايل) الذي ورد في (كبير- ال) (كبير ايل)، و(متع ال) (متع ايل)، و(ذرحال) (ذرح ايل)، و(سقال) و(سق ايل)، و(ال- بر) (إيل- بر)، و(العم) (ايل- عم)، و(شيمال) (شيم ايل)، و(الأب) (ال) (اب) (ايل اب)، فإن (ال) (ايل) في هذه الأسماء هو الإله (ايل)." (١٠٥)

ونجد في الحميرية: "شرحيل، أي: شرح ايل. شرح ايل شرحيل، أي: شرح ايل، (١٠٦) كما كان في مذبح: وهبيل." (١٠٧)

أما الاسم: سموإيل، الذي خرج عن مدلوله الوثني، على أنه إله وثني، ليصبح اسم علم فيما بعد، فإنه كان في الأصل يمثل الشمس، ولكن سيطرة نسبته إلى العبرية، أي: اليهود، جعلته يعني: Heard of God Name of God (١٠٨) وهو في التوراة جاء من قول أمه:

(١٠٤) علي، الفصل، ٦: ٣١٣.

(١٠٥) علي، الفصل، ٦: ٣٣٠.

(١٠٦) أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، المعرب، تحقيق ف. عبدالرحيم، ط ١ (بيروت: دار القلم، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، حاشية ٤٠٧.

(١٠٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣: ٣٩٧.

(١٠٨) W. H. F. Gesenius, *Gesenius' Hebrew and Chaldee Lexicon* (Michigan: Baker Book House, 1979),

"Samuel", 833.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

"لأنني من الرب سألته."^(١٠٩) ويعني في العبرانية: عظم الله.^(١١٠) ولا يدل هذا على شيء، وإنما الذي يدل عليه هو أنه اسم لإله وثني قديم،^(١١١) أي الذي اسمه "إيل" His name is El. أما الاسم في اللغة العربية، فقديم عتيق، فهو - إضافة إلى ما جاء في الدراسة - ورد في الشعر على أنه اسم لطائر. قال الشاعر، مخاطبا النعمان بن المنذر:

بجيث لو وزنت لخم بأجمعها ما وازنت ريشة من ريش سمويلا^(١١٢)

ومن ثم ف: السمول: الأرض الواسعة والسهلة التراب. سمويل: طائر يكنى أبا براء، والظل، وذباب الخلل. وقرب سموأل: سريع.^(١١٣) سمويل: اسم موضع.^(١١٤) والسموأل، والسمول: الضامر الضئيل؛^(١١٥) أي إن اشتقاقه من اللغة العربية، إما من الفعل "سمل"، أو الفعل: "اسمال"، بمعنى: ارتفع.

ولا يقتصر تسرع العلماء، إلى فهم (إيل) على أنه اسم عام، مشترك، يعني: "الإله" أو الرب، في المنطقة، ثم تفسير المضاف إليه، ونسبته إلى هذه اللغة أو تلك - سيما العبرانية -

(١٠٩) سفر صموئيل الأول، ١: ٢٠. وكان في مدار السنة أن حنة حبلت، وولدت ابنا ودعت اسمه: صموئيل، قائلة: "لأنني من الرب سألته".

(١١٠) لويس شيخو، النصرانية وآدابها (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٣م)، ١: ٢٣٦.

(١١١) "Samuel". Odelaim and Se'guineau, *Dictionary*.

(١١٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٤هـ)، ٢: ٣٨٩.

(١١٣) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د.ت.)، "السملة".

(١١٤) البكري، معجم ما استعجم، "سمويل".

(١١٥) الزبيدي، التاج، "سمل".

على الأقدمين، بل يقع في هذا حتى المعاصرون. وللخروج من ذلك الجدل حول هذا، نورد قول جواد علي:

ويلاحظ أن أكثر استعمال (ال) (ايل) في العبرانية هو في الشعر وفي أسماء الأعلام المركبة، ولم يستعمل في النثر إلا قليلا. أما في اللهجات العربية وفي اللغات السامية الأخرى، فقد استعملت اللفظة في الأعلام المركبة في الغالب، وفي معنى (إله) مثل (ال تعالى)، أي (الإله تعالى)، وما شاكل ذلك، أي بمعنى اسم من أسماء الله الحسنى.

وعلى الرغم من ورود (ال) (ايل) بصورة يستنبط منها أنها خاصة، أي اسم علم، لا نستطيع أن نقول إن (ال) اسم علم لإله معين مخصوص، مثل الآلهة الأخرى التي ترد أسماؤها في الكتابات، ذلك لأن الذين ذكروا (ال) (ايل) في الأعلام المركبة، أو في مواضع أخرى من كتاباتهم لم يقصدوا كما يتبين من الاستعمال إليها معينا اسمه (ال) (ايل)، وإنما أرادوا ما نعبر عنه بقولنا (إله) والجمع آله؛ لفظة (إله) عندنا ليست اسم علم، وإنما تعبر عن اسم الجلالة دون ذكر اسمه. وهي كذلك عندهم وعند بقية الساميين بمعنى (رب)، وإله، (بعل) عند الأقدمين.

ولا يعرف العلماء معنى لفظة (ال) (ايل) على وجه علمي دقيق. ولكنهم يفسرونها عادة بمعنى (القدير)، (الحاكم). ومعنى ذلك أن (ال) نعت من نعوت الآلهة، أو اسم من أسماء الله الحسنى بحسب التعبير الإسلامي. ويرى بعض العلماء احتمال عدم وجود صلة له بـ(ألوهيم)، الكلمة العبرانية التي تطلق على الإله.^(١١٦)

ومن ثم، فإن الاسم "سموأل" اسم لأحد الآلهة القديمة، قد نجد صورته في أحد آلهة ديدان: "شمال" أو "شيم إيل".

ويبقى استبعاد اشتقاق سموأل من اللغة العربية، والقول: إن وزنه فعوأل^(١١٧) غير مصيب، فهذا اسم مرتجل، غير منقول، ووزنه: فعولل، كـ"سرومط".^(١١٨)

(١١٦) علي، الفصل، ٦: ٣٢٢.

(١١٧) الزبيدي، التاج، "سمل".

(١١٨) أبو الفتح عثمان بن جني، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، تحقيق حسن هندأوي (بيروت: دار المنارة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٤٧. السرومط: الطويل. ونحن نضيف إلى هذا: "جبونن"، وهو اسم

السموأل: الحقيقة والتاريخ

وبالمثل، فإن "عادياء" أيضا: مثله في الارتجال، وغير النقل، وهو "فاعلاء"، من عدوت، بوزن: القاصعاء، والراهطاء، والسافياء، والسابياء، وأصله: "عادواء"، فانقلبت لامه للكسرة.^(١١٩)

جاء في *طبقات فحول الشعراء*: "السموأل بن غريص بن عادياء، من أهل تيماء."^(١٢٠) وفي *الأغاني*: "السموأل بن غريص بن عادياء بن حيا."^(١٢١) أو "السموأل بن عادياء."^(١٢٢) وفي *الأصمعيات*، في نسب سعية: "السموأل أخو سعية."^(١٢٣) وسعية، في *الأصمعيات*: "سعية بن العريض."^(١٢٤) وهو في *الخزائن* "من يهود خيبر."^(١٢٥)

موضع في جزيرة العرب؛ انظر: البكر، *معجم ما استعجم*، "برام؛" ياقوت، *معجم البلدان*، "حبوتن." ومثله ياقوت، "مروراة": (مرورى)، مؤنثا، أو عند البكري، *معجم ما استعجم*، مذكرا. وانظر: ياقوت، *معجم البلدان*، "حزورة، قرورى." وانظر: ابن منظور، *اللسان*، مثل: "شجوجى، خجوجى، عثوثل، عشوزن، قطوطى."

(١١٩) ابن جنى، *المبجج*، ٤٧. القاصعاء: فم جحر اليربوع. الراهطاء: من حجرة اليربوع، وهي أول حفيرة يحتفرها. السافياء: الريح التي تحمل ترابا كثيرا على الأرض، تهجمه على الناس. السابياء: الماء الكثير الذي يخرج على رأس الوليد. ومنه الساعياء. ابن جنى، *المبجج*، ٤٨.

(١٢٠) محمد بن سلام الجمحي، *طبقات فحول الشعراء*، تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٢م)، ٢٣٥.

(١٢١) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢٢: ١٠٨.

(١٢٢) الأصفهاني، *الأغاني*، ٢٢: ١٠٨.

(١٢٣) عبد الملك بن قريش الأصمعي، *الأصمعيات*، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م)، ٧٤.

(١٢٤) الأصمعي، *الأصمعيات*، ٨٠.

(١٢٥) عبد القادر بن عمر البغدادي، *خزائن الأدب*، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م)، ٨: ٤٣٥.

ويجاور أحمد شاكر حول هذه الأسماء، فيقول: "هو سعية بن العريض بن عادياء اليهودي، شاعر متقدم مجيد، وهو أخو السموأل المشهور بالوفاء... وهو من بني همدان، ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم في الإسلام. وسعية هذا لم يدرك الإسلام، ولكن أدركه ولداه "ثعلبة وأسد"، وأسلما وحسن إسلامهما، وتوفيا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي التراجم آخر يشبهه بهذا، وهو ابن أخيه، وهو سعية بن العريض بن السموأل بن العريض بن عادياء، كان مسلما وعمّر طويلا، ومات في آخر خلافة معاوية... شبه على الحافظ بن حجر فذكره في الإصابة في موضعين؛ في الصحابة وفي المخضرمين، وذكر نسبة "سعية بن العريض بن عادياء"، وأنه ابن أخي السموأل. وقد ذكره صاحب الأغاني... فقال: وأما سعية بن عريض، فقد كان ذكر خبر جده السموأل بن عريض بن عادياء في موضع غير هذا، وكان سعية بن عريض شاعرا، ثم ذكر له قصة مع معاوية.

فهذا سعية حفيد السموأل، لا سعية أخوه، وأخطأ صاحب الأغاني في موضع آخر... فذكر شعرا قال فيه أنه لعريض اليهودي وهو السموأل بن عادياء، وقيل إنه لابنه سعية بن عريض، فهذا خطأ، فعريض ليس هو السموأل، بل عريض اثنان: أبو السموأل وابنه. وقد حقق علماء الحديث الأثبات أن أسيدا وثعلبة ابني سعية بن العريض كانا صحابيين توفيا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم... وهو صاحب الأبلق. ويخطئ من ينسب السموأل أو أخاه سعية إلى خبير، فشتان ما بين خبير وتيماء، وإنما كان ثعلبة وأسيد مع قريظة في عهد النبوة، فلعلهما نزحا إلى ضواحي المدينة بعد خراب الأبلق الفرد.^(١٢٦)

وفي هذه المحاورة توجيه غير موفق، فهو ينسب الأسرة إلى بني همدان، ثم هم بنو عم القوم؛ ومن أين علم أنهم: "كانوا سادتهم في الإسلام"، بل الأنكى من ذلك هو التفريق بين بني همدان وقريظة والنضير، مع أنه قال: "هم بنو عم القوم". وما هذا إلا نقل حرفي، غير متحرر، لما قاله أبو الفرج عنهم. ولا يفتأ شاكر يخطئ من لا يرتضيه، فيخطئ صاحب الأغاني. ويحقق نسبة أسيد وثعلبة إلى سعية بن العريض الصحابيين. وكل هذا تلفيق، واضطراب،

السموأل: الحقيقة والتاريخ

للمجمع بين سموأل في تيماء، وهذه الأسماء. ذلك أنه لا سموأل في تيماء قال شعرا، ولا سعية قال شعرا كذلك، وإنما هو تضليل وخداع، استفاد منه اليهود، ليضيفوا شعرا إلى هذا أو ذلك؛ حتى إن شاكرنا نفسه يستمر في طريقته في تخطئة الآخرين، فيقول: "يخطئ من ينسب سموأل"، ويحاول أن يجد تعليلا لذلك الاضطراب، فيقول: "لعلهما نزحا إلى ضواحي المدينة".

ولم يكن هناك شاعر، لا في تيماء، ولا في خيبر، ولا في ضواحي المدينة، وإنما كل ذلك من صنع اليهود الموتورين بعد الإسلام.

لقد نسب أبو الفرج دارم بن عقال إلى سموأل، فهو "من ولد سموأل"،^(١٢٧) ثم يُرجع نسب سموأل مرة إلى "غسان"، ومرة أخرى إلى "الكاهن بن هارون بن عمران".^(١٢٨) وهو يشبهه في نسبه إلى غسان، بناء على سلسلة نسبه، فيقول: "عمرو مزيقيا قديم، لا يجوز أن يكون بينه وبين سموأل ثلاثة آباء، ولا عشرة، إلا أكثر".^(١٢٩)

وهذا الالتباس والريبة حول النسبة، يتأكد في نسبة دارم بن عقال، فهو: "دارم بن عقال ابن حبيب الغساني"،^(١٣٠) أي إن دارما هذا لا صلة له بالسموأل، وأن ما أثبتته الدراسة من أنه أحد الأعراب، أقرب إلى الصحة، ذلك أن عبدالله بن أبي سعد الوراق،^(١٣١) الذي روى لقاء امرئ القيس بالسموأل كان يروي عن الأعراب ضمن من يروي لهم.

(١٢٧) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢: ١٠٨.

(١٢٨) الأصفهاني، الأغاني، ٩: ٩٥.

(١٢٩) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢: ١٠٨.

(١٣٠) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢: ١٠٨.

(١٣١) أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، المسالك والممالك، تحقيق حمد الجاسر (بيروت: مطبعة المثني،

١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ١٢٦.

رأينا أن الاضطراب في نسب السموأل جاء من إلحاق السموأل - الشخصية التاريخية الموجودة قبيل الإسلام - بغسان، وفيهم بطن، أو فخذ، يحمل ذلك الاسم، ويدل على صدقه إضافته إلى "عاديا"، رمز القدم والذهبية، وها نحن نجد صاحب التاج يقول: "الديان: لقب يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب الحارثي، وكان شريفاً، قال السموأل بن عاديا:

فإن بني الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

وحفيده: أبو عبدالرحمن، الربيع بن زياد، محدث عن كعب الأحبار." (١٣٢)

ولرواية الزبيدي وجهان:

الأول: مشايعة الخطأ في نسبة اللامية - ومنها هذا البيت - إلى السموأل، وهي لعبد

الملك ابن عبد الرحيم الحارثي، من بني الديان.

الثاني: أن الزبيدي ينسب السموأل اليهودي، حسبما أصبح مقرراً عند العلماء، إلى

بني الديان، من بني الحارث، ويجعله الرجل الذي عاش قبيل الإسلام، فهو جد أبي عبد

الرحمن الربيع بن زياد.

والصحيح أن قوله: "وحفيده" يعني حفيد يزيد بن قطن، الملقب بـ"الديان"، وأن إيراد

البيت استشهاد على ذلك، وأقحم السموأل هنا لما شاع من نسبة البيت إليه، كما أثبتت

الدراسة في حقيقة "الأبلق".

ولا وجود للسموأل أياً كان في بني الحارث بن كعب. أما الربيع بن زياد هذا، فهو كما

أورد نسبه الزبيدي على حقيقته، صحابي، (١٣٣) ولي خراسان في أيام معاوية (١٣٤) (توفي سنة

٣٥هـ) (١٣٥) وحفيد: "الربيع بن عبدالله، الذي يقول فيه نصيب، مولى المهدي (ت ١٧٥هـ):

(١٣٢) الزبيدي، التاج، "دين".

(١٣٣) جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف،

ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٩: ٧٨ - ٨٠.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

ألا أبلغا عني الربيع رسالة ربيع بني عبد المذان الأكارم^(١٣٦)

كما يقول فيه :

أحار بن كعب إن عبسا تغلغلت إلى السير من نجران في طلب التمر^(١٣٧)

ولمعرفة حقيقة نسب سموأل بن عادي في الأزدي وغسان ، بعد أن مرت بنا مسابقة الجاسر للرأي الذي يزعم نسبة سموأل في تيماء ، وأن آله بقوا فيها ، استنادا إلى ما ذهب إليه ابن دريد - علينا أن ندرك أن هذا ليس رأي ابن دريد (ت ٣٢١هـ) ، وإنما نقله ابن دريد عن جمهرة النسب لهشام بن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، برواية محمد بن جعفر بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) ، الذي قال عن سموأل بتيماء : " وولده بها اليوم."^(١٣٨) وهو ما أثبتته أبو الفرج في أغانيه .

كما ذكر ابن الكلبي في نسب معد واليمن الكبير ، ناسبا سموأل إلى الأزدي ، فغسان ، "ومنهم سموأل بن حيا : وولده بمصر : آل الغمر بن الحصين بن المساور بن مدرك بن قيس بن عبد الملك بن أبي الحصين بن حي بن سموأل."^(١٣٩) وهنا نجد لسموأل ابنا اسمه : "حي".

وفي الأغاني ، رأينا شريح بن سموأل .

وفي الخزانة ، له ابن هو : العريض بن سموأل بن عادي .

(١٣٤) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق محمد علي البجاوي (بيروت : دار الجليل) ، ٢ : ٤٨٨ .

(١٣٥) ابن عبد ربه ، العقد القرئيد ، ٣ : ٣٩٦ .

(١٣٦) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط ٣ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، ٢ : ٨ - ٣٩ .

(١٣٧) الأصفهاني ، الأغاني ، ٢٢ : ٤١٢ ، ٤١٣ .

(١٣٨) أبو منذر هشام بن محمد بن الكلبي ، جمهرة النسب ، تحقيق محمد فردوس الأعظم (دمشق : دار اليقظة ، د.ت.) ، ٢ : ٣٦٧ .

(١٣٩) أبو منذر هشام بن محمد بن الكلبي ، نسب معد واليمن الكبير ، تحقيق الأعظم (دمشق : دار اليقظة ، د.ت.) ، ٢ : ١١٣ .

فضل بن عمار العماري

كما نجد له أخا هو: سعية بن عريض بن عادياء.

وفي الأغاني، نجد من أحفاده: دارم بن عقال.

وهو في المسالك والممالك: دارم بن عقال بن حبيب.

وهو في التاج: من بني الديان.

وبنو الديان من مذحج، وغسان، من الأزد، بل إن أبا الفرج يقول: "يقال إن أمه كانت

من غسان."^(١٤٠)

فما الرابطة بين: آل الغمر، وشريح، أو سعية، وعقال بن دارم؟

في الأغاني، تعود نسبة السموأل أدراجها إلى عهود بعيدة.

وإذا كان ابن الكلبي توفي سنة ٢٠٤ هـ، والسموأل عاش قبيل الإسلام، فكم استغرق

أحفاده من آل الغمر الثمانية، حتى تلك السنة؟ وما هذه العلاقة بين الديان التي ثبت بطلانها؟

إنه من الواضح أن العلماء العرب وقعوا في خلط فاحش بين السموأل، الشخصية

اليهودية، والتي عرفت ذات يوم بتيماء، قبيل الإسلام، وهي الشخصية التي تعكس كل

خصائص الشخصية اليهودية المعروفة، والشخصية الأسطورية: سموإيل، الإله الوثني،

والذي يعود إلى عصور موغلة في التاريخ: عادي، عادي، عادي؛ ولهذا أرجعوا السموأل اليهودي،

العبراني، إلى الأزد.

وفي حين كان الأعشى يتحدث عن أسطورة التضحية البشرية: "جار ابن حيا،" جاء

العلماء العرب، فجعلوا "حيا" ممنوعا من الصرف للعجمة؛ لأنه التبس عليهم بالاسم المعروف

بين اليهود: "حبي". وقد رأينا أن ابن الكلبي يورده مرتين: ابنا "حي"، ثم أبا "حيا"، على ما

شاع في شعر الأعشى. وكان المفترض أن يتكرر -كما هو العادة في الأسماء العربية- إما بهذه

الصورة، وإما بتلك، على الرغم من أن الاسم "حي" نفسه عربي الأصل، حتى إنه كان في

الصحابة رجلا بهذا الاسم، أحدهما من ثقيف، والآخر من الليث.^(١٤١) وحي: قبيلة من

(١٤٠) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢: ١٠٨.

(١٤١) الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ١: ١٤٦.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

العرب، وبنو حبي، قبيلة من العرب، كذلك.^(١٤٢) بل إن "أوفى" من أسماء العرب، وهو و"حيا" مخففة غير مدغمة (ولعلها إحدى روايات بيت الأعشى: "جار ابن حيا" مع تحريف في الرواية)، اسمان عرييان؛ "حيا" خاصة، اسم في الأزدي، علم على أنثى.^(١٤٣)

وحتى يكون بين أيدينا شاهد على هذا، ننظر في التاج، لنجد أنه يفرق بين: السموأل ابن عادياء اليهودي، والسموأل، فخذ من كعب بن عمرو مزيقيا.^(١٤٤)

ولقد ضللنا طويلا هذه العلاقة المتلازمة، فكنا لا نجد سبيلا من إيصال السموأل اليهودي بعمرو مزيقيا، وعلى هذا دارت كتب الأنساب؛ ولولا هذه الإشارة الخاطفة الفاصلة، لكنا حتى الآن نعود من حيث بدأنا، مهما دلت المعطيات العلمية ضد ذلك الربط.

ويحل لنا هذا تلك المعضلة التي ظلت عصية حتى الآن عند النظر فيما قاله علماء الأنساب، فمنبع الخطأ أنهم يقولون في نسبه "السموأل بن حيا بن عادياء بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمرو (مزيقيا) بن عامر (ماء السماء) بن حارثة (الغطريف) بن امرئ القيس (البطريق) بن ثعلبة بن مازن بن الأسد (الأزد).^(١٤٥)

ورغم سلسلة النسب هذه، فإن أبا الفرج يقول عن الأعشى: "الأعشى أدرك شريح بن السموأل، وأردك الإسلام." ثم يعلق على تلك السلسلة بقوله: "عمرو بن مزيقيا قديم، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء، ولا عشرة، إلا أكثر.^(١٤٦)

(١٤٢) الزبيدي، التاج، "حبي". وانظر: شعر النابغة الجعدي، تحقيق عبد العزيز رباح (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ١٠١، ١١٤.

(١٤٣) الأصفهاني، الأغاني، ٥: ٣١.

(١٤٤) الزبيدي، التاج، "سمل".

(١٤٥) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٨م)، ٤٣٥ - ٤٣٦؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة النسب، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ٣٧٢.

(١٤٦) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢: ١٠٨.

ونرى سلسلة نسب السموأل هي عند النسابة ثمانية. ومهما يكن، فإن هذه السلسلة تدخلنا في مراحل من التاريخ بعيدة، تعود إلى نشأة القبائل العربية، ولابد من العودة إلى ملاحظة الزبيدي في التاج، التي يدعمها قول النويري في نهاية الأرب: "السموأل بن كعب بن عمرو مزقياء، أحد خمسة أفخاذ: السموأل، وحنظلة، وثعلبة، ومالك، وامرؤ القيس (قاتل الجوع)".^(١٤٧)

وهناك اسم آخر، له نسب آخر هو: "السموأل بن أولى بن عادي بن رفاع بن جفنة بن عمرو مزقيا".^(١٤٨)

فيإلى جانب اختلاف سلسلة النسب هنا عما هو عليه عند ابن دريد وابن حزم، فالسموأل ليس شخصا، وإنما هو: "بطن"،^(١٤٩) بل هو "فخذ"،^(١٥٠) فهو أحد ثلاثة أفخاذ من آل جفنة بن عمرو مزقياء، ملوك الشام: "كعب - رفاع - والحارث"،^(١٥١) أي الغساسنة. إنه من الثابت الآن أن السموأل: بطن، أو: فخذ، وليس علما على شخص بمفرده، وهو ليس يهوديا، وإنما عربي قديم، عريق في التسمية والأثر. ولعلنا نتبين حيرة العلماء في تفسير السموأل بأنه: "أشمويل، عبراني"، وكذلك "حيا - و - عادياء".^(١٥٢) وليتهم قالوا: "السموأل: الأرض السهلة، إن اشتقته من العربية".^(١٥٣) وليتهم تنبهوا إلى أن عادياء ممدود، كما أن مزقياء ممدود، وسمي بهذا، لأنه: كان يمزق عنه كل يوم حلة، لئلا يلبسها أحد بعده.^(١٥٤)

(١٤٧) النويري، نهاية الأرب، ٢: ٣١٩.

(١٤٨) النويري، نهاية الأرب، ٢: ٣٢٠.

(١٤٩) النويري، نهاية الأرب، ٢: ٣٢٠.

(١٥٠) النويري، نهاية الأرب، ٢: ٣٢٠.

(١٥١) ابن دريد، الاشتقاق، ٤٣٦.

(١٥٢) ابن دريد، الاشتقاق، ٤٣٤.

(١٥٣) ابن دريد، الاشتقاق، ٤٣٦.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

وعليه، فلقد التبس على العلماء الاسم بالفخذ، فجمعوا بينهما، وبهذا نستدرج جميع سلسلة النسب التي تجعل للسموأل بن عاديا أحفادا، ثم تلصقه بعمر مزيقيا- إلى علم على فخذ من أفخاذ غسان، أو بطن منهم، هو: السموأل، دخله ما دخله من إضافات ليتناسب مع الأسطورة من جهة، والشخصية التاريخية من جهة أخرى.

وبعد، فالسموأل ليس قاصرا على اليهود، فهو علم سامي، بل هو اسم شائع بين العرب أنفسهم، كما هو اسم موجود في العبرية، وربما جاءهم من العربية، كما جاء حيي، تصغير حي، وعلى هذا كان: السموأل، جدّ صفية بنت حيي بن أخطب، لأمها،^(١٥٥) أي إن آل الغمر، من غسان، وبهذا يسقط كل شعر، أو مفخرة، لهؤلاء أو أولئك فيما نسب إلى السموأل اليهودي في تيماء.

أما آل السموأل اليهودي في تيماء، والسموأل، فلا نعرف لهم نسبا غير أنهم من: ولد الكاهن بن هارون بن عمران.^(١٥٦) فهم ثلثة من اليهود المتعصبين، رحلوا عن تيماء بعد دخول تيماء في الإسلام، وإن بقي فيها يهود.

الآن وقد خرج السموأل من تيماء، وتعددت تيماء، ووجدناه في الدراسة، في حجر اليمامة، في ذكرى طسم وجديس، في شعر النمر بن تولب، وها هو يعود منتسبا في الأزدي وفي غسان، فمن هو يا ترى: السموأل؛ أليس هو الأسطورة، والأنساب، والتاريخ؟ إن هذا الانتساب يثبت أن الاسم: السموأل، غائر في أعماق الذاكرة الشعبية العربية، كما يبطل تلك المزاعم التي تعود به إلى اللغة العبرانية، فاليهود، ثم تحقق له ما تحقق من أباطيل وأكاذيب.

(١٥٤) ابن دريد، الاشتقاق، ٤٣٥.

(١٥٥) الزبيدي، التاج، "سمل".

(١٥٦) الأصفهاني، الأغاني، ٣: ١١٠؛ ٢٢: ١٠٨.

فضل بن عمار العماري

ولن نشغل أنفسنا بالاسم الآخر ذي الموقع الوزني المناسب في قول الأعشى: "جار ابن حيا،" أي أن يأتي بدلا منه "يحيى"، "ف" حيا" تسمية عربية قديمة، تسبق ميلاد المسيح. أما "يحيى" فمعاصر له: قال تعالى: [لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا] (سورة مريم، آية ٧). ويمكننا الخروج بيقين من هذا التفصيل في أن سموائل -الذي تحول إلى السموأل، أو هكذا هو، عربي عريق -كان ذا مدلول ديني - كما هو واضح من اقتترانه بـ(إيل)- ثم تحول إلى اسم علم على بطن، أو على شخص، وذلك أن نقوش الملك الآشوري سنحاريب، ذكرت قبيلة: سمويل، وكانت قبيلة، في صحراء غرب بابل، تغزو منطقة تدمر،^(١٥٧) أي هي من قبائل بادية الشام.

(١٥٧) Alpha`al, *The Ancient Arabs*, 229-30. غير أن أحمد حسين شرف الدين، *المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية* (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ٢٣، يقول: "تعرف = قبيلة تيماء بقبيلة سموي ال، وقد جاء ذكرها في نقش لتغلات بلاسر." وهذا موضع نظر، إلا أنه في الوقت نفسه، يكشف لنا بعض أسرار ذلك الخلط، كما يعيدنا إلى الجذور القديمة للتاريخ العربي. ومع ذلك، فهو عين الخطأ في تفسير تيماء، بتيماء الحجاز في نقش نبونيدوس.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

وبعد هذا التحقيق في كل ما يتصل بالسموأل وتيماء، فإننا نصل إلى ما توصل إليه فيلبي حين قال عما راجع عن سموأل وقصته بين أهالي تيماء: "من الطبيعي ألا نجد أي أثر من آثار هذه الأخبار التي يرجع تاريخها إلى عصر الجاهلية." وتكون النتيجة كما يقول: "إن اليهودي سموأل قد لاقى قصاصه العادل في هذا المكان بالنظر لمولاته للأعداء الذين كان العرب يقاتلونهم، مقابل ضمان هؤلاء الأعداء ما يملكه من أسلحة وأشياء أخرى إذا ما حاول أن يهرب بنفسه من ذلك القصر."^(١٥٨)

وكما قال أبو رزق: "قصة سموأل التي قلبت عن حقيقتها إلى الوفاء... كان مرايبا شحيحا، وليس وفيا."^(١٥٩)

نقش الحجر: الذي حققه الذيب، وهو كالتالي:^(١٦٠)

١- دن ه ن ف س ا و ق ب ر ت ا د ي ع ب د

٢- ع د ن و ن ب ر ح ب ي ب ر س م و ا ل X X

٣- ح ج ر ا (ع) ل م و ن ه ا ث ت ه ب ر ت

٤- ع م ر و ب ر ع د ن ب ر س م و ا ل

٥- ر ي س ت س م ا د ي م ي ت ت ب ي ر خ

٦- ا ب س ن ت م ا ت ي ن و خ م س ي ن

٧- و ا ح د ي ب ر ت س ن ي ن ث ل ث ي ن

٨- و ث م ن ي

١- هذه المسلة والمقبرة، التي عمل (أنشأ)

(١٥٨) عبدالله فيلبي، أرض الأنبياء، ترجمة عمر الداردي، ط ١ (بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٦٢م)، ١١٢.

(١٥٩) أبو رزق، عبدالرؤوف المصري، معجم القرآن (القاهرة: مطبعة حجازي، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)، ١، حاشية ٤٤.

(١٦٠) سليمان بن عبدالرحمن الذيب، نقوش الحجر النبطية (الرياض: مطابع هلا، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ١٦٠؛ وانظر: ١٦١ - ١٧١.

- ٢ - عدنان بن حبيّ بن سموأل رئيس (والي)
- ٣ - الحجر، ل م و ن ه زوجته بنت
- ٤ - عمرو بن عدنان بن سموأل
- ٥ - رئيس (والي) تيماء، التي ماتت في شهر
- ٦ - أب، سنة مائتين وخمسين
- ٧ - وواحد، (وهي) بنت سنين ثلاثين
- ٨ - وثمان

لعل هذا النقش يثير نقاطا مهمة :

أولها: أننا أمام قراءات غير متفق عليها؛ فالسموأل (صاحب تيماء) يأتي للعمل في الحجر، وابن عمه صاحب الحجر، وعمل الحفيد بالحجر يثير تساؤلات حول صحة قراءة (رئيس تيماء).

ثانيها ثبت: النقش وجود "السموأل" - إذا افترضنا أن "عمرو بن عدنان بن سموأل"، رئيس تيماء - في القرن الرابع الميلادي - زمن النقش، وليس متأخرا، في القرن السادس الميلادي - زمن قصة امرئ القيس.

ثالثها: أن الذيب تصرف في قراءة "تيمن"، فجعلها (تيماء)،^(١٦١) واحتمال أن تكون "تيماء" غير "تيمن"، أصبح الآن ممكنا.

وإذن، أليس من المثير للدهشة ألا نجد أي نقش في أي عصر يذكر سموأل في تيماء؟! وعلى الرغم من المشاكل التي تثيرها القراءة وتفسيرها، فإن هذا يؤكد انفصال الشخصية التاريخية عن الشخصية الأدبية والأسطورية، وسندخل في تساؤلات حول علاقة الحجر بتيماء، سيما أنّ النقش لم يُعثر عليه في تيماء نفسها. وبالإضافة إلى هذا، فإن في منطقة تيماء ذاتها موضعا يدعى: "يمن"، شرق الطريق من خيبر إلى تيماء، قبل الوصول إلى حفيرة

(١٦١) الذيب، نقوش، ١٧٢، ١٧٧، ٢٢٢ - ٢٢٣، ٢٢٣، ٢٣٥.

السموأل: الحقيقة والتاريخ

الأيدا، في الجنوب الشرقي منها، بحوالي ٣٠ كلم، في الطريق الشمالي من جبال الحَظْم، شرق حمرا البديع وقبل الوصول إلى وادي قَوّ، الواقع شمال يَمَن، وبعض فروعها قريبة من تَيَمَن.^(١٦٢) وهذه هي التي جاءت في قول عامر بن الطفيل:
أَلَا مَنْ مُبْلَغُ أَسْمَاءَ عَنِّي وَلَوْ وَحَلَّتْ بِيَمِينَ أَوْ جُبَارِ^(١٦٣)

والنتيجة أن هناك "سموأل" في اليهود صليبية، له من سلسلة النسب: "عمران"، "عمرو"، "حيي"؛ وهناك "سموأل" في العرب صليبية، له من سلسلة النسب "عمرو"، "حيا"، "عاديا"، الأول لا ذكر له، والثاني بقي ذكره في آل الغمر؛ وهناك قبيلة، وهناك فخذ من قبيلة، وعند هذه النقطة كان التقاء: الحقيقة بالتاريخ، والواقع بالأسطورة!

(١٦٢) الجاسر، شمال المملكة، ٣: ١٤٠٨؛ وانظر: البلادي، معجم معالم الحجاز، ١٠: ٣٣.
(١٦٣) انظر: ياقوت، معجم البلدان، "يَمَن". وهناك رواية: "يَمَن"، وذكر رواية أخرى هي: "أمن"، بل ذكر البكري، معجم ما استعجم، "بيذخ" رواية أخرى هي "أيمن"، وانظر: البلادي، معجم معالم الحجاز، ١٠: ٣٣ - ٣٤.

وهذه هي "تيمن" الواردة في النقش، وهذه التي ذكرها البكري في الطريق إلى تيماء: "تمن"، وهذه هي التي ذكرها كثير في شعره. ذلك أن طريق رحلة عزة لم تمر بتلك التي في ثنية هرشي قط، وإنما كانت إما نحو مصر - وفي طريقها هذه - وإما نحو العالية ذهابا. وانظر: الجاسر، شمال المملكة، ١: ٦٠٦.

ولو توسعنا في الاحتجاج، فإننا سنتوصل إلى أن قول زهير بن أبي سلمى:
عَفَا مَنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجُوَاءِ فَيُيَمِّنُ فِـ القَوَادِمِ فَالْحِـ سَاءِ

شعر زهير، تحقيق فخر الدين قباوة، ط ٣ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ١٢٢.
يعني التي بالرَبْدَة، كما حددها ياقوت، والذي قال أيضا: "أمن: ماء في بلاد غطفان، وقد تقلب الهمزة ياء - على عادتهم - فيقال: يمن."

فضل بن عمار العماري

As-Samaw'al: Fact and History

Fadel Ammar Al-Ammary

*Professor, Arabic Department, College of Arts,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia*

Abstract . It is not a surprise to note that ancient and modern scholars alike have clung to the same picture of Taima' as the one presented in history or in ancient Arabic poetry. The only picture of this city presented in these sources coincides indeed with what may be called the "Hijazi Taima'", that is with one of the many ancient cities bearing the same name which used to exist in the Arabian Peninsula and of which we have some archeological, religious as well as poetic evidence. However, ancient sources, including Bibliocolones, do not seem to determine which one of these many "Taimas" is meant in poems orally transmitted by such reporters as al-Musawwar al-Anzi, Hammad al-Rawiyah, al-Mufaddal al-Dabbi and Khalaf al-Ahmar or by genealogists such as Ibn al-Kalbi. It is the purpose of the present paper to try and shed light on some aspects of this controversial issue.